

حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ

وَبَيَانُ مَا يُضَاهِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ
وَالْبَعْظِيلِ وَالْبَدِيعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

تَأَلَّفَ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

صَالِحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ السَّائِرِينَ

اِعْتَنَى بِهِ دَامَتْ بَقَاؤُهُ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عُثْمَانَ الْمُجَلِّهِ السُّوُلِيِّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ السَّائِرِينَ

مِنْ مَنَاسِلِ شُرُوحَاتِ وَمُؤَلَّفَاتِ
مَسَالِكِ الشَّيْخِ صَالِحِ الْفُوزَانِ

مَكْتَبَةُ الْأَمَلِ الدَّهْيِي

الْكُوفَةِ

الْبَرَاءَةُ الدَّهْيِي

الزِّيَاذِ

كَمَفِيكَ التَّوْحِيدِ
وَيَسَّانِ مَا يَصَاحُهَا مِنَ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ وَالْأَكْثَرِ
وَالْعَظِيمِ وَالْيَدِ وَالْعَمْرِ الْكَثِيرِ

ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجلهه ، سلهان بن جابر بن عثمان المجلهه

عقيدة التوحيد . / سلهان بن جابر بن عثمان المجلهه .

- الرياض ، ١٤٤٠ هـ

٢٤٧ ص : ٢٤×١٧ سم

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩١١٨٢-٤-٤

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد أ . العنوان

١٤٤٠ / ٤٧٠٨

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع : ١٤٤٠ / ٤٧٠٨

ردمك : ٩٧٨-٦٠٣-٩١١٨٢-٤-٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

(١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الكويت، حولي، شارع المثني، مجمع البدري

ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤

فرع حولي: شارع المثني: ٢٢٦١٥٠٤٦، فرع المباركية: ٢٢٤٩٠٦٠٤

فرع الفحيحيل: ٢٥٤٥٦٠٦٩، فرع المصاحف: ٢٢٦٢٩٠٧٨

ص.ب: ١٠٧٥ - الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت

المملكة العربية السعودية - الرياض: ٠٥٥٧٧٦٥١٣٨

الساخن: ت: ٩٤٤٠٥٥٥٩

E - mail: z.zahby74@yahoo.com



imamzahby

سُلَيْسِلَةُ شُرُوحَاتٍ وَمُؤَلَّفَاتٍ مَعَ أَلِي الشَّيْخِ صَاحِبِ الْفُوزَانِ (٢١)

عَفَاكَ التَّوْحِيدُ

وَبَيَانُ مَا يُضَاهَا مِنْ الشَّرِكِ الْكَبِيرِ وَالْأَصْغَرِ
وَالْتَّعْطِيلِ وَالْبِدْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

تَأَلَّفَ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

صَاحِبِ بَنْ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

يُغْفَرُ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ السَّالِمِينَ

اِمْتَنَنَ بِهِ وَأَسْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانَ الْمُجَاهِدُ السُّوْلِيمِيُّ

يُغْفَرُ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِسَائِرِهِمْ

مَكْتَبَةُ الْأَمَلِ الدَّهْيِيَّةِ

الْكُوت

الْبَرَاءَةُ الدَّهْيِيَّةُ

الزِّيَاضُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وآله وصحبه وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم
بطباعة كتابي: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها
من الشرك الأكبر أو الأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك.
رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.
وصلى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤٤٠/٢/٢١ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا كتاب شيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان بن عبد الله الفوزان -أثابه الله تعالى-، عنونه سماحة شيخنا بعنوان: «عقيدة التوحيد، وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك»، وهو عبارة عن عصارة سلفية سننية من شهد وعسل وشفاء وطلل من خير الكتاب العظيم والسنة الرشيدة، اقتبسه شيخنا العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان من كتب الأئمة الفحول -أمثال شيخ الاسلام: ابن تيمية، وتلميذه الهمام: ابن القيم-، ومن تأليف الشيخ المجدد الامام: محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه المباركين الأئمة الأعلام، وقد جعله شيخنا العلامة صالح الفوزان في ستة أبواب فاضلة، هي:

الباب الأول: مدخل لدراسة العقيدة.

الباب الثاني: في بيان معاني التوحيد وأنواعه.

الباب الثالث: في بيان الشرك والانحراف في حياة البشرية، ولمحة

تاريخية عن الكفر والإلحاد والشرك والنفاق.

الباب الرابع: أقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه.

الباب الخامس: في بيان ما يجب اعتقاده في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الباب السادس: البدع.

وقد أجاد فيها شيخنا العلامة الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان بأسلوب ميسر، وهي عبارة عن خلاصة مهمة في علم العقيدة الإسلامية الصحيحة، المرتكزة على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

وقد طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايجي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وتقبل منهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانَ الْمُجَاهِدِ السُّوَلِيمِ

عَفَرَ اللَّهُ لَوِ الدَّيْرَ وَالْأَهْلَ بَيْتَهُ وَلِشَايِخِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

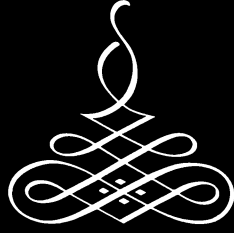
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الصادق الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فهذا كتاب في علم التوحيد، وقد راعيت فيه الاختصار مع سهولة العبارة، وقد اقتبسته من مصادر كثيرة من كتب أئمتنا الأعلام، ولا سيما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب العلامة ابن القيم، وكتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه من أئمة الدعوة المباركة.

ومما لا شك فيه أن علم العقيدة الإسلامية هو العلم الأساسي الذي تجدر العناية به تعلمًا وتعليمًا وعملاً بموجبه؛ لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة للعاملين، خصوصًا وأننا في زمان كثرت فيه التيارات المنحرفة: تيار الإلحاد، وتيار التصوف والرهبة، وتيار القبورية الوثنية، وتيار البدع المخالفة للهدى النبوي. وكلها تيارات خطيرة، ما لم يكن المسلم مسلحًا بسلاح العقيدة الصحيحة المرتكزة على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة؛ فإنه حري أن تجرفه تلك التيارات المضلة، وهذا مما يستدعي العناية التامة بتعليم العقيدة الصحيحة لأبناء المسلمين من مصادرها الأصلية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

المؤلف



البَابُ الْأَوَّلُ

مدخل لدراسة العقيدة

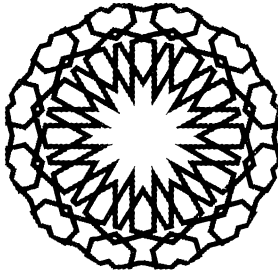
ويتكون من الفصول التالية :

الفصل الأول: معنى العقيدة، وبيان أهميتها؛ باعتبارها أساساً يقوم

عليه بناء الدين.

الفصل الثاني: مصادر العقيدة الصحيحة، ومنهج السلف في تلقيها.

الفصل الثالث: الانحراف عن العقيدة، وسبل التوقي منه.



الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

في بيان العقيدة وبيان أهميتها باعتبارها أساساً يقوم عليه بناء الدين



العقيدة لغة: مأخوذة من العقد، وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير. والعقيدة: ما يدين به الإنسان، يقال: له عقيدة حسنة؛ أي: سالمة من الشك. والعقيدة عمل قلبي، وهي إيمان القلب بالشيء وتصديقه به^(١).

والعقيدة شرعاً: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وتُسمَّى هذه أركان الإيمان^(٢).

والشريعة تنقسم إلى قسمين: اعتقاديات وعمليات:

فالاعتقاديات: هي التي لا تتعلق بكيفية العمل، مثل اعتقاد ربوبية الله، ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة، وتُسمَّى أصلية.

والعمليات: هي ما يتعلق بكيفية العمل؛ مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، وسائر الأحكام العملية، وتسمى فرعية؛ لأنها تبنى على تلك؛ صحة وفساداً.

(١) انظر: مادة: «عقد» في: لسان العرب (٣/ ٢٩٦)، ومختار الصحاح (ص ١٨٦)، والقاموس المحيط (٣٨٣).

(٢) كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، الذي أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

فالعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصحُّ معه الأعمال؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣].

فدلَّت هذه الآيات الكريمة وما جاء بمعناها - وهو كثير - على أن الأعمال لا تُقبل إلا إذا كانت خالصة من الشرك، ومن ثمَّ كان اهتمام الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - بإصلاح العقيدة أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وكلُّ رسول يقول أول ما يخاطب قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، قالها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وسائر الأنبياء لقومهم.

وقد بقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة؛ لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء الدين.

وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين، فكانوا يبدعون بالدعوة إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى الأمر ببقية أوامر الدين.

الفصل الثاني

في بيان مصادر العقيدة ومنهج السلف في تلقيها



العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثمَّ فإنَّ مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلم بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلم بالله من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقي العقيدة مقصوراً على الكتاب والسنة.

فما دلَّ عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى، آمنوا به، واعتقدوه وعملوا به. وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله، نفَّوه عن الله تعالى، ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد، واتحاد المنهج، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ولذلك سُموا بالفرقة الناجية؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد لهم بالنجاة حين أخبر بافتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة،

ولما سئل عن هذه الواحدة، قال: «هِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(١).

وقد وقع مصداق ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعندما بنى بعض الناس عقيدتهم على غير الكتاب والسنة - من علم الكلام، وقواعد المنطق الموروثة عن فلاسفة اليونان - حصل الانحراف والتفرق في الاعتقاد؛ مما نتج عنه اختلاف الكلمة، وتفرق الجماعة، وتصعد بناء المجتمع الإسلامي.



(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢١٨/١)، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذُو النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». وأخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٧/٥)، والصغير (٢٩/٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وروي نحوه من حديث أبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمر بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين. وصححه البغوي في شرح السنة (٢١٣/١)، والحديث فيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي، قال الحافظ في التقریب: (ضعيف في حفظه، وكان رجلاً صالحاً). وانظر: تهذيب التهذيب (١٧٣/٦)، والميزان (٥٦١/٢)، والكامل (٥٩٠/٤).

الفصل الثالث في بيان الانحراف عن العقيدة وسبل التوقي منه



الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق عليه حياته، ثم يحاول التخلص من هذا الضيق بإنهاء حياته ولو بالانتحار؛ كما هو الواقع من كثير من الأفراد الذين فقدوا هداية العقيدة الصحيحة.

والمجتمع الذي لا تسوده عقيدة صحيحة هو مجتمع بهيمي، يفقد كل مقومات الحياة السعيدة؛ وإن كان يملك الكثير من مقومات الحياة المادية التي كثيرًا ما تقوده إلى الدمار؛ كما هو مشاهد في المجتمعات الكافرة؛ لأن هذه المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجه لها سوى العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتَهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَبِيغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۝١١ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١٢ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ ۝١٣ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْفِطْرَ ۝١٤ وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ

بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ
أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿سبأ: ١٠-١٣﴾.

فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية، فإن انفكت عنها بالانحراف إلى العقائد الباطلة، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار؛ كما هو المشاهد اليوم في الدول الكافرة التي تملك مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.

والانحراف عن العقيدة الصحيحة له أسباب تجب معرفتها، من أهمها:

❁ الجهل بالعقيدة الصحيحة بسبب الإغراض عن تعلمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها، حتى ينشأ جيل لا يعرف تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلاً، والباطل حقاً؛ كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ»^(١).

(١) هذا الأثر ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مجموع الفتاوى (١٠/٣٠١، ١٥/٥٤)، وفي منهاج السنة النبوية (٢/٢٩٨، ٤/٥٩٠)، وأصل هذا الأثر عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤١٠)، والحاكم في المستدرک (٤/٤٧٥)، وأبي نعيم في الحلية (٧/٢٤٣)، وابن كثير في مسند الفاروق (٢/٤٢٨): «عَنِ الْمُسْتَظَّلِ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ»، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَتَى يَهْلِكُونَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: «حِينَ يَسُوسَ أَمْرَهُمْ مَنْ لَمْ يُعَالِجْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَمْ يَضَحِبِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

❖ التَّعَصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلاً، وترك ما خالفه وإن كان حقاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

❖ التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها، ومعرفة مدى صحتها؛ كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية^(١)، ومعتزلة^(٢)، وأشاعرة^(٣)، وصوفية، وغيرهم؛ حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرّاً عظيماً، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سلم بن أحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة وأصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٧-٥٣٩).

(٣) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتعلم على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم =

الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

❁ الغُلُو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والندور، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد؛ كما حصل من قوم نوح في حق الصالحين حين قالوا: ﴿لَا نَذَرَنَّ أَهْلَهُتْكُمْ وَلَا نَذَرَنَّ وَدًا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، وكما هو الحاصل من عبَاد القبور اليوم في كثير من الأمصار.

❁ الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية، حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده؛ فصاروا يُعظمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده؛ كما قال قارون من قبل: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، وكما يقول الإنسان ﴿هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: ٤٩]، ولم يتفكروا ولم ينظروا في عظمة من أوجد هذه الكائنات، وأودعها هذه الخصائص الباهرة، وأوجد البشر، وأعطاه المقدرة على استخراج هذه الخصائص

= وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ.

انظر: تاريخ بغداد (٣٤٦/١١)، ووفيات الأعيان (٢٨٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (٨٥/١٥)، وشذرات الذهب (٣٠٣/٢)، والبداية والنهاية (١٨٧/١١).

والارتفاع بها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

❁ أصبح البيت في الغالب خالياً من التوجيه السليم؛ وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١)، فالأبوان لهما دور كبير في تقويم اتجاه الطفل.

❁ إحجام وسائل التعليم والإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتها، فقد أصبحت مناهج التعليم في الغالب لا تولي جانب الدين اهتماماً كبيراً، أو لا تهتم به أصلاً، وأصبحت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق، ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى ينشأ جيلٌ أعزلٌ أمام جيوش الإلحاد، لا يدان له بمقاومتها.

وسبل التَّوْقِي في هذا الانحراف تتلخص فيما يلي:

❁ الرجوع إلى كتاب الله عَزَّجَلَّ، وإلى سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتلقي الاعتقاد الصحيح منهما؛ كما كان السلف الصالح يستمدون عقيدتهم منهما،

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، مع الاطلاع على عقائد الفرق المنحرفة، ومعرفة شُبُههم للرد عليها والتحذير منها؛ لأن من لا يعرف الشر، يوشك أن يقع فيه.

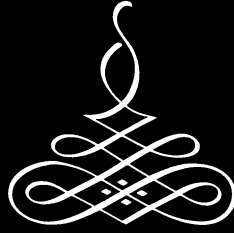
❁ العناية بتدريس العقيدة الصحيحة - عقيدة السلف الصالح - في مختلف المراحل الدراسية، وإعطاؤها الحِصص الكافية من المنهج، والاهتمام البالغ في تدقيق الامتحانات في هذه المادة.

❁ أن تُقرر دراسةُ الكُتُبِ السَّلفيةِ الصافية، ويتعد عن كتب الفرق المنحرفة - كالصوفية، والمبتدعة، والجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة والماتريدية^(١)، وغيرهم -، إلا من باب معرفتها؛ لرد ما فيها من الباطل والتحذير منها.

❁ قيام دعاة مصلحين يجددون للناس عقيدة السلف، ويردون ضلالات المنحرفين عنها.



(١) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله رَزَّاهُ عَنْهُ يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: مجموع الفتاوى (٣١/٧-٤٣٤)، وفتح الباري (١٣/٤٥٥)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/٣٦٠)، ومجموع الفتاوى (٧/٤٣١-٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/٣٦٢)، وانظر: رسالة الماتريدية للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللهُ.



الباب الثاني

في بيان معنى التوحيد وأنواعه

التوحيدُ: هو إفرادُ الله بالخلق والتدبير، وإخلاصُ العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وتنزيهه عن النقص والعيب؛ فهو بهذا التعريف يشملُ أنواع التوحيد الثلاثة، وبيانها كالتالي:

١ - توحيد الربوبية :

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: في بيان معنى توحيد الربوبية، وفطريته وإقرار المشركين به.

الفصل الثاني: في بيان مفهوم كلمة الرب في القرآن والسنة، وتصورات

الأمم الضالّة في باب الربوبية، والرد عليها.

الفصل الثالث: في بيان خضوع الكون في الانقياد والطاعة لله.

الفصل الرابع: في بيان منهج القرآن في إثبات وحدانية الله في الخلق

والرزق وغير ذلك.

الفصل الخامس: في بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية.

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

في بيان معنى توحيد الربوبية واقرار المشركين به



التوحيد بمعناه العام: هو اعتقادُ تفرُّدِ الله تعالى بالربوبية، وإخلاص
العبادة له، وإثبات ما له من الأسماء والصفات، فهو ثلاثة أنواع:
توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكل
نوع له معنى لا بد من بيانه؛ ليتحدد الفرق بين هذه الأنواع:

١- فتوحيد الربوبية: هو إفراذُ الله تعالى بأفعاله؛ بأن يُعتقد أنه وحده
الخالق لجميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].
وأنه الرزاق لجميع الدواب والادميين وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ
دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وأنه مالكُ الملك، والمديرُ لشؤون العالم كله؛ يُؤلِّي ويعزل، ويُعزُّ ويذل،
قادرٌ على كل شيء، يُصَرِّفُ الليل والنهار، ويُحيي ويميت، قال تعالى: ﴿قُلِ
اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ
تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

وقد نفى الله سبحانه أن يكون له شريك في الملك أو معين؛ كما نفى سبحانه أن يكون له شريك في الخلق والرِّزق، قال تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١١]، وقال تعالى: ﴿ أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ [الملك: ٢١].

كما أعلن انفراده بالربوبية على جميع خلقه، فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقال: ﴿ إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد فطّر الله جميع الخلق على الإقرار بربوبيته؛ حتى إن المشركين الذين جعلوا له شريكاً في العبادة يقرون بتفرده بالربوبية؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكَ (٨٧) قُلْ مَنْ فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٩].

فهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم؛ بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الرب فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن؛ كما قال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال عنه وعن قومه: ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

وكذلك من يُنكِرُ الربَّ اليومَ من الشيوعيين؛ إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة، وإلا فهم في الباطن لا بد أن يعترفوا أنه ما من موجود إلا وله موجد، وما من مخلوق إلا وله خالق، وما من أثر إلا وله مؤثر، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿ [الطور: ٣٥-٣٦].

تأمل العالم كله، علويه وسفليه، بجميع أجزائه؛ تجده شاهداً بإثبات صانعه وفطره ومليكه. فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم وجحده، لا فرق بينهما، وما تتبجح به الشيوعية اليوم من إنكار وجود الرب إنما هو من باب المكابرة، ومصادرة نتائج العقول والأفكار الصحيحة، ومن كان بهذه المثابة، فقد ألغى عقله، ودعا الناس للسخرية منه.

قال الشاعر^(١):

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

(١) هي للشاعر المشهور إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية، ولد سنة ثلاثين ومائة، أصله من عين التمر وهي بليدة بالحجاز، =



=ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسك وصار قوله في الوعظ والزهد، وأبو العتاهية لقب، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٢٥٠/٦)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (١٧٤٩/٤)، والمتنظم (٢٣٦/١٠)، ووفيات الأعيان (٢١٩/١)، والوافي بالوفيات (١١١/٩)، والبداية والنهاية (٢٦٥/١٠)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١٦/١). ونسب ابن خلكان هذه الأبيات لأبي نواس في وفيات الأعيان (١٣٨/٧).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِنَّ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا اللَّهُ لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١٩٩/٢).

الفصل الثاني مفهوم كلمة الرب في القرآن والسنة وتصورات الأمم الضالة



١ - مفهوم كلمة الرب في الكتاب والسنة:

الربُّ في الأصل: مصدرُ ربَّ يربُّ، بمعنى: نشأ الشيء من حال إلى حال التمام، يُقال: ربّه وربّاه وربّبه، فلفظ (رب) مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقال: (الربُّ) بالإطلاق، إلا الله تعالى المتكفل بما يصلح الموجودات، نحو قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، ولا يقال لغيره إلا مضافاً محدوداً؛ كما يقال: (رب الدار)، (وربُّ الفرس)؛ يعني: صاحبها^(١)، ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]^(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضالة الإبل: «حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا»^(٣).

(١) انظر: العين (٢٥٦/٨)، والصحاح (١٣٠/١)، ومقاييس اللغة (٣٨١/٢).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/١٦٩، ١٩٩)، وتفسير السمعاني (٣/٣٣، ٣٧)، وزاد المسير (٢/٤٤١)، وابن كثير (٤/٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٢٨)، ومسلم (٥/١٧٢٢) من حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ

فتبين بهذا: أن الرب يطلق على الله معرّفًا ومضافًا، فيقال: (الرب)، أو (رب العالمين)، أو (رب الناس)، ولا تُطلق كلمة الرَّبِّ على غير الله إلا مضافة؛ مثل: رب الدار، ورب المنزل، ورب الإبل.

ومعنى (رب العالمين)؛ أي: خالقهم ومالكهم، ومصلحهم ومربيهم بنعمه، وبإرسال رسله، وإنزال كتبه، ومجازيهم على أعمالهم^(١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فإنَّ الرُّبُوبِيَّةَ تَقْتَضِي أَمْرَ الْعِبَادِ وَنَهْيَهُمْ، وَجَزَاءَ مُحْسِنِهِمْ بِإِحْسَانِهِ، وَمُسِيئِهِمْ بِإِسَاءَتِهِ، هَذَا حَقِيقَةُ الرُّبُوبِيَّةِ)^(٢).

٢ - مفهوم كلمة الرب في تصورات الأمم الضالة:

خلق الله الخلق مفطورين على التوحيد، ومعرفة الرب الخالق سبحانه؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مجموع الفتاوى (٢/ ٣٩٩): (فَهَذِهِ الْمَعَانِي وَمَا أَشْبَهَهَا مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ وَخَلْقِهِ وَرِزْقِهِ وَهِدَايَتِهِ وَنَصْرِهِ وَإِحْسَانِهِ وَبِرِّهِ وَتَدْبِيرِهِ وَصُنْعِهِ، ثُمَّ مَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ أَنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ، يُبْصِرُ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ. فَهَذَا كُلُّهُ حَقٌّ. وَهُوَ مُحَضَّرٌ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٩٠-٩١).

فالإقرارُ بربوبية الله والتوجه إليه أمر فطري، والشرك حادث طارئ، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسَانِهِ»^(١). فلو خُلِّيَ العبد وفطرته، لاتجه إلى التوحيد، وقيل دعوة الرسل؛ الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودلت عليه الآيات الكونية، ولكن التربية المنحرفة والبيئة الملحدة هما اللتان تغيران اتجاه المولود، ومن ثمَّ يقلد الأولاد آباءهم في الضلالة والانحراف.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «وَأَنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»^(٢) أي: صَرَفَتْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الأصنام، واتخاذها أرباباً من دون الله؛ فوقعوا في الضلال والضياغ، والتفرق والاختلاف؛ كل يتخذ له ربًّا يعبد غير رب الآخر؛ لأنهم لما تركوا الرب الحق، ابتلوا باتخاذ الأرباب الباطلة؛ كما قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، والضلال ليس له حدٌّ ونهاية، وهو لازم لكل من أعرَضَ عن ربه الحق، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْبُتُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿[يوسف: ٣٩-٤٠].

والشُّركُ في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال ممتنع، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن معبوداتهم تملك بعض التصرفات في الكون، وقد تلاعب بهم الشيطان في عبادة هذه المعبودات؛ فتلاعب بكل

(١) سبق تخرجه (ص ١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦٣) (٢٨٦٥) من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمَجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، كقوم نوح، وطائفة اتخذت الأصنام على صورة الكواكب التي زعموا أنها تؤثر على العالم، فجعلوا لها بيوتاً وسدنة، واختلفوا في عبادتهم لهذه الكواكب: فمنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من يعبد غيرهما من الكواكب الأخرى، حتى بنوا لها هياكل، لكل كوكب منها هيكل يخصه، ومنهم من يعبد النار، وهم المجوس، ومنهم من يعبد البقر - كما في الهند -، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد القبور والأضرحة، وكل هذا بسبب أن هؤلاء تصوروا في هذه الأشياء شيئاً من خصائص الربوبية.

فمنهم من يزعم أن هذه الأصنام تمثل أشياء غائبة، قال ابن القيم: (وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته؛ ليكون نائباً منابه، وقائماً مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده، ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده...). انتهى^(١).

كما أن عبّاد القبور قديماً وحديثاً يزعمون أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم، ويتوسطون لهم عند الله في قضاء حوائجهم ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٤]، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [يونس: ١٨].

(١) انظر: إغاثة اللفهان (٢/ ٢٢٤).

كما أن بعض مشركي العرب والنصارى تصوروا في معبوداتهم أنها ولد الله، فمشركو العرب عبدوا الملائكة على أنها بنات الله، والنصارى عبدوا المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنه ابن الله.

٣- الرد على هذه التصورات الباطلة:

قد رد الله على هذه التصورات الباطلة جميعاً بما يأتي:

❖ ردّ على عبدة الأصنام بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، ومعنى الآية كما قال القرطبي: أفرأيتم هذه الآلهة! أنفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله تعالى؟ وهل دفعت عن نفسها حينما حطمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهدموها^(١).

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۖ (٦١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ (٦٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا مِنْ عِصْفِينَ ۖ (٦١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ (٦٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۖ (٦٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۚ﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٤]، فقد وافقوا على أن هذه الأصنام لا تسمع الدعاء، ولا تنفع، ولا تضر، وإنما عبدوها تقليداً لأبائهم، والتقليد حجة باطلة.

❖ ورد على من عبد الكواكب والشمس والقمر بقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وبقوله: ﴿وَمَنْ عَايَنَتْهُ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۚ﴾ [فصلت: ٣٧].

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣٧/٢٠).

❖ ورد على من عبد الملائكة والمسيح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على أنهم ولد الله بقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ويقوله: ﴿ أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيبَةً ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ويقوله: ﴿ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُوَلِدْ ﴾ ❷ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٣-٤].



الفصل الثالث

الكون وفطرته في الخضوع والطاعة لله



إنَّ جميع الكون بسماؤه وأرضه، وأفلاكه وكواكبه، ودوابه وشجره ومدره، وبره وبحره، وملائكته وجنه وإنسه؛ كله خاضع لله، مطيع لأمره الكوني، قال تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَانُونٌ﴾ [البقرة: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

فكلُّ هذه الكائنات والعوالم مُنقادة لله، خاضعة لسلطانه؛ تجري وفق إرادته وطوع أمره، لا يستعصي عليه منها شيء؛ تقوم بوظائفها، وتؤدي نتائجها بنظام دقيق، وتنزه خالقها عن النقص والعجز والعيب، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فهذه المخلوقات - صامتها وناطقها، وحياها وميتها - كلها مُطِيعَةٌ لله، مُنْقَادَةٌ لأمره الكوني، وكُلُّها تنزه الله عن النقائص والعيوب بلسان الحال ولسان المقال.

فكلما تدبّر العاقل هذه المخلوقات، علم أنها خُلقت بالحق وللحق، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء عن أمر مدبرها؛ فالجميع مُقَرَّرُونَ بالخالق بفطرتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَهُمْ خَاضِعُونَ مُسْتَسْلِمُونَ قَانِتُونَ مُضْطَرُّونَ مِنْ وَجْهِهِ:

مِنْهَا: عِلْمُهُمْ بِحَاجَتِهِمْ وَضُرُورَتِهِمْ إِلَيْهِ.

وَمِنْهَا: دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُ عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ.

وَالْمُؤْمِنُ يَخْضَعُ لِأَمْرِ رَبِّهِ طَوْعًا، وَكَذَلِكَ لِمَا يُقَدِّرُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ عِنْدَهَا مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ وَغَيْرِهِ طَوْعًا، فَهُوَ مُسْلِمٌ لِلَّهِ طَوْعًا خَاضِعٌ لَهُ طَوْعًا، وَالسُّجُودُ مَقْصُودُهُ الْخُضُوعُ، وَسُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ سُجُودًا يُنَاسِبُهَا وَيَتَضَمَّنُ الْخُضُوعَ لِلرَّبِّ) (١).

والكافر يخضع لأمر ربه الكوني، وسجود الكائنات المقصود به الخضوع، وسجود كل شيء بحسبه؛ سُجُودٌ يُنَاسِبُهُ، وَيَتَضَمَّنُ الْخُضُوعَ لِلرَّبِّ، وَتَسْبِيحُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٤٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

قال: (فَذَكَرَ إِسْلَامَ الْكَائِنَاتِ طَوْعًا وَكَرْهًا؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعَهَا مُتَعَبِّدَةٌ لَهُ التَّعَبُّدَ الْعَامَّ، سَوَاءً أَقَرَّ الْمُقَرَّبُ بِذَلِكَ أَوْ أَنْكَرَهُ، وَهُمْ مَدِينُونَ مَدْبُرُونَ؛ فَهُمْ مُسْلِمُونَ لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ خُرُوجٌ عَمَّا شَاءَهُ وَقَدَرَهُ وَقَضَاهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَمَلِكُهُمْ، يَصْرِفُهُمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَهُوَ خَالِقُهُمْ كُلُّهُمْ وَبَارِئُهُمْ وَمُصَوِّرُهُمْ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَهُوَ مَرْبُوبٌ مَصْنُوعٌ مَفْطُورٌ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ مُعَبَّدٌ مَقْهُورٌ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)^(١).



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٠٠).

الْفَضِيلُ الرَّابِعُ

في بيان منهج القرآن في إثبات وجود الخالق ووحدايته



منهج القرآن في إثبات وجود الخالق ووحدايته هو المنهج الذي يتمشى مع الفطر المستقيمة، والعقول السليمة، وذلك بإقامة البراهين الصحيحة، التي تقتنع بها العقول، وتسلم بها الخصوم، ومن ذلك:

❖ من المعلوم بالضرورة أن الحادث لا بد له من محدث:

هذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة؛ حتى للصبيان؛ فَإِنَّ الصَّبِيَّ لو ضَرْبُهُ ضاربٌ، وهو غافلٌ لا يُبصره، لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: (لم يضربك أحدٌ)، لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير محدث؛ فإذا قيل: (فلان ضربك)، بكى حتى يُضربَ ضاربُهُ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وهذا تقسيم حاصر، ذكره الله بصيغة استفهام إنكاري؛ ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة، لا يمكن جحدها، يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾؛ أي: من غير خالق خلقهم، أم هم خَلَقُوا أنفسهم؟! وكلا الأمرين باطلٌ؛ فتعين أن لهم خالقاً خلقهم، وهو الله سبحانه، ليس هناك خالق غيره، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقال تعالى:

﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ.﴾ [الحج: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

ومع هذا التحدي المتكرر لم يدَّع أحدٌ أنه خلق شيئاً، ولا مجرد دعوى -فضلاً عن إثبات ذلك-، فتعيَّن أن الله سبحانه هو الخالق وحده لا شريك له.

﴿ انتظام أمر العالم كله وإحكامه:

أدُل دليل على أن مدبره إلهٌ واحد، وربُّ واحدٌ لا شريك له ولا مُنازع.

قال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١].

فالإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، فلو كان معه سبحانه إله آخر، يُشاركه في مُلكه -تعالى الله عن ذلك-، لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى شركةَ الإله الآخر معه؛ بل إن قدر على قهر شريكه وتفرد بالملك والإلهية دونهُ، فعل. وإن لم يقدر على ذلك، انفرد بنصيبه في الملك والخلق؛ كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، فيحصل الانقسام؛ فلا بُدَّ من أحد ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إما أن يقهر أحدهما الآخر، وينفرد بالملك دونه.

الأمر الثاني: وإما أن ينفرد كُلُّ واحد منهما عن الآخر بملكه وخلقه؛ فيحصل الانقسام.

الأمر الثالث: وإما أن يكونا تحت مَلِكٍ واحدٍ يتصرّفُ فيهما كيف يشاء؛ فيكون هو الإله الحق، وهم عبيده.

وهذا هو الواقع، فإنه لم يحصل في العالم انقسام ولا خلل؛ مما يدُلُّ على أنَّ مدبره واحدٌ، لا منازع له، وأن مالكة واحد لا شريك له.

❖ تسخيرُ المخلوقاتِ لأداء وظائفها، والقيام بخصائصها:

فليس هناك مخلوق يستعصي ويمتنع عن أداء مهمته في هذا الكون، وهذا ما استدل به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ [طه: ٤٩]، أجاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بجواب شافٍ كافٍ، فقال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]؛ أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به - من كبر الجسم، وصغره، وتوسطهن جميع صفاته -، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية هي هداية الدلالة والإلهام، وهي الهداية الكاملة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إنَّ الله أعطى الحيوان البهيم من الإدراك ما يتمكن به من فعل ما ينفعه، ودفع ما يضره، وما به يؤدي مهمته في الحياة، وهذا كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧].

فالذي خلق جميع المخلوقات، وأعطاهما خلقها الحسن -الذي لا تقترح العقول فوق حسنه-، وهداها لمصالحها هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكارٌ لأعظم الأشياء وجودًا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب، فالله أعطى الخلق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به، ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه، في المناكحة والألفة والاجتماع، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به، وفي هذا براهين قاطعة على أنه جَلَّ وَعَلَا رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وهو المستحق للعبادة دون سواه.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

ومما لا شك فيه أن المقصود من إثبات ربوبيته -سبحانه- لخلقه وانفراده لذلك: هو الاستدلال به على وجوب عبادته وحده لا شريك له؛ الذي هو توحيد الألوهية، فلو أن الإنسان أقر بتوحيد الربوبية، ولم يقر بتوحيد الألوهية، أو لم يَقُمْ به على الوجه الصحيح، لم يكن مسلمًا، ولا موحدًا؛ بل يكون كافرًا جاحدًا، وهذا ما ستحدث عنه في الفصل التالي -إن شاء الله تعالى.



الْفُضَيْلُ الْخَامِسُ

بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية

ومعنى ذلك أن من أقرّ بتوحيد الربوبية لله، فاعترف بأنه لا خالق، ولا رازق، ولا مدبّر للكون، إلا الله عَزَّجَلَّ، لزمه أن يُقرّ بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه، وهذا هو توحيد الألوهية، فإنَّ الألوهية هي العبادة؛ فالإله معناه: المعبود، فلا يُدعى إلا الله، ولا يُستغاثُ إلا به، ولا يُتوكَّلُ إلا عليه، ولا تذبح القرابين وتُنذر النذور، ولا تُصرفُ جميعُ أنواع العبادة، إلا له؛ فتوحيد الربوبية دليلٌ لوجوب توحيد الألوهية؛ ولهذا كثيرًا ما يحتجُّ الله سبحانه على المنكرين لتوحيد الألوهية بما أقرّوا به من توحيد الربوبية؛ مثل: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]، فأمرهم بتوحيد الألوهية، وهو عبادته، واحتجَّ عليهم بتوحيد الربوبية، الذي هو خلقُ الناس الأولين والآخرين، وخلقُ السماء والأرض وما فيهما، وتسخير الرياح وإنزال المطر، وإنبات النبات، وإخراج الثمرات التي هي رزق العباد، فلا يليق بهم أن يُشركوا معه غيره؛ ممَّن يعلمون أنه لم يفعل شيئًا من ذلك، ولا من غيره، فالطريق الفطري لإثبات توحيد الألوهية الاستدلال عليه بتوحيد الربوبية؛ فإن الإنسان يتعلق أولاً

بمصدر خلقه، ومنشأ نفعه وضره؛ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الوسائل التي تقربه إليه، وترضيه عنه، وتوثق الصلة بينه وبينه، فتوحيد الربوبية بابٌ لتوحيد الألوهية؛ من أجل ذلك احتجَّ الله على المشركين بهذه الطريقة، وأمر رسوله أن يحتجَّ بها عليهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتُهُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فقد احتج بتفردِه بالربوبية على استحقاقه للعبادة، وتوحيد الألوهية هو الذي خلق الخلق من أجله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى (يعبدون): يُفردوني بالعبادة^(١)، ولا يكون العبدُ موحدًا بمجرد اعترافه بتوحيد الربوبية؛ حتى يُقرَّ بتوحيد الألوهية، ويقومَ به، وإلا فإنَّ المشركين كانوا مُقرِّينَ بتوحيد الربوبية، ولم يُدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يُقرُّون بأنَّ الله هو الخالق الرازق، المحيي المميت؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٥)، وتفسير البغوي (٧/ ٣٨٠).

مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿[يونس: ٣١].

وهذا كثيرٌ في القرآن، فمن زعم أنَّ التوحيدَ هو الإقرارُ بوجود الله، أو الإقرار بأن الله هو الخالق المتصرف في الكون، واقتصر على هذا النوع؛ لم يكن عارفاً لحقيقة التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل؛ لأنه وقفَ عندَ الملزوم، وتركَ اللازم، أو وقفَ عندَ الدليل، وتركَ المدلول عليه.

ومن خصائص الألوهية: الكمالُ المطلقُ من جميع الوجوه؛ الذي لانقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشية والدعاء، والرجاء والإنابة، والتوكل والاستغاثة، وغاية الذِّلِّ مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يكون لغيره.





٢- توحيد الألوهية :

ويتضمن الفصول التالية:

الفصل الأول: في معنى توحيد الألوهية، وأنه موضوع دعوة الرُّسل.

الفصل الثاني: الشهادتان: معناهما، أركانهما، شروطهما، مقتضاهما،

نواقضهما.

الفصل الثالث: في التشريع: التحليل، التحريم، حق الله.

الفصل الرابع: في العبادة: معناها، أنواعها، شمولها.

الفصل الخامس: في بيان مفاهيم خاطئة في تحديد العبادة (وذلك

كالتقصير في مدلول العبادة أو الغلو فيها).

الفصل السادس: في بيان ركائز العبودية الصحيحة: الحب، الخوف،

الخضوع، الرجاء.

الفصل السابع: في بيان شروط قبول العبادة والعمل، وهي: الإخلاص،

ومتابعة الشرع.

الفصل الثامن: في بيان مراتب الدين، وهي: الإسلام، والإيمان،

والإحسان؛ تعريفها، وما بينها من عموم وخصوص.



الفَصْلُ الْأَوَّلُ

في بيان معنى توحيد الألوهية، وأنه موضوع دعوة الرسل



توحيد الألوهية: الألوهية هي العبادة.

وتوحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع - كالدعاء، والنذر، والنحر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والإنابة-، وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وكلُّ رسول يبدأ دعوته لقومه بالأمر بتوحيد الألوهية؛ كما قال نوح وهود وصالح وشعيب: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥]، ﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْتَقُوا﴾ [العنكبوت: ١٦]، وأنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٣٦) (٢٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، والعمل بها، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [حمد: ١٩].

وأول ما يؤمر به مَنْ يريد الدخول في الإسلام: النطق بالشهادتين، فتبين من هذا: أن توحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرُّسل، وسُمِّي بذلك؛ لأن الألوهية وصف الله تعالى الدال عليه اسمه تعالى (الله)، فالله: ذو الألوهية، أي المعبود.

ويقال له: توحيد العبادة؛ باعتبار أن العبودية وصفُ العبد، حيث إنه يجبُ عليه أن يعبد الله مخلصاً في ذلك؛ لحاجته إلى ربه وفقره إليه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

(وَاعْلَمْ أَنَّ فَقْرَ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فَيُقَاسُ بِهِ؛ لَكِنْ يُشَبِّهُ مِنْ بَعْضِ أَلْوَجُوهِ حَاجَةُ الْجَسَدِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ وَبَيْنَهُمَا فُرُوقٌ كَثِيرَةٌ. فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْعَبْدِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ، وَهِيَ لَا صَلَاحَ لَهَا إِلَّا بِإِلَهَهِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: فَلَا تَطْمَئِنُّ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ: وَهِيَ كَادِحَةٌ إِلَيْهِ كَذْحًا فَمَلَأَقِيَّتُهُ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا صَلَاحَ لَهَا إِلَّا بِلِقَائِهِ. وَلَوْ حَصَلَ لِلْعَبْدِ لَذَاتٌ أَوْ سُرُورٌ بغيرِ اللَّهِ فَلَا يَدُومُ ذَلِكَ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ، وَمِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ، وَيَتَنَعَّمُ بِهَذَا فِي وَقْتٍ وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، وَتَارَةً أُخْرَى يَكُونُ ذَلِكَ الَّذِي يَتَنَعَّمُ بِهِ وَالتَّذَنُّعُ مِنْهُ لَهْ وَلَا مُلْتَدُّ لَهْ، بَلْ قَدْ يُؤْذِيهِ اتِّصَالُهُ بِهِ وَوُجُودُهُ عِنْدَهُ، وَيَضُرُّهُ ذَلِكَ. وَأَمَّا إِلَهُهُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَكُلِّ وَقْتٍ، وَإِنَّمَا كَانَ فَهُوَ مَعَهُ) (١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٤-٢٥).

وكان هذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل؛ لأنه الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال، وبدون تحقيقه لا تصحُّ جميع الأعمال: فإنه إذا لم يتحقق؛ حصل ضده، وهو الشرك، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولأن هذا النوع من التوحيد هو أول الحقوق الواجبة على العبد، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ الآية [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ الآيات [الأنعام: ١٥١-١٥٣].



الفصل الثاني

**في بيان معنى الشهادتين، وما وقع فيهما من الخطأ،
وأركانهما، وشروطهما، ومقتضاهما، ونواقضهما**



أولاً: معنى الشهادتين؛

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك، والعمل به، (فلا إله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائناً من كان، (إلا الله) إثبات لاستحقاق الله وحده للعبادة، ومعنى هذه الكلمة إجمالاً: لا معبود بحق إلا الله. وخبر (لا) يجب تقديره: (بحق)، ولا يجوز تقديره بموجود؛ لأن هذا خلاف الواقع، فالمعبودات غير الله موجودة بكثرة؛ فيلزم منه أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أبطل الباطل، وهو مذهب أهل وحدة الوجود، الذين هم أكفر أهل الأرض^(١).

(١) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مذهبهم الذي هم عليه: أن الوجود واحد؛ ويسمونه أهل وحدة الوجود ويدعون التحقيق والعرفان وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات فكل ما يتصف به المخلوقات من حسن وقبيح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم: عين الخالق وليس للخالق عندهم وجود مبين لوجود المخلوقات منفصل عنها أصلاً؛ بل عندهم ما ثم غير أصلاً للخالق ولا سواه. ومن كلماتهم: ليس إلا الله. فعبدوا الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم لأنه ما عندهم له غير. انظر: أمراض القلوب وشفائها (١/٦٤)، والفتاوى الكبرى (٥/١٢٢-١٢٣)، والفرقان (١/١١٣)، ودرء التعارض (٧/١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٢/١٢١-١٢٦).

وقد فُسِّرَتْ هذه الكلمةُ بتفسيرات باطلة، منها:

❖ أن معناه: لا معبودَ إلا الله. وهذا باطلٌ؛ لأن معناه: أن كل معبود بحقٍّ أو باطل هو الله؛ كما سبق بيانه قريباً.

❖ أن معناها: لا خالقَ إلا الله. وهذا جزء من معنى هذه الكلمة؛ ولكن ليس هو المقصود؛ لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي، وهو توحيد المشركين.

❖ أن معناها: لا حاكميةَ إلا الله، وهذا -أيضاً- جزء من معناها، وليس هو المقصود؛ لأنه لا يكفي؛ لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط، ودعا غير الله، أو صرف له شيئاً من العبادة، لم يكن موحداً، وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة.

والتفسيرُ الصحيح لهذه الكلمة عند السلف والمحققين: أن يُقال: (لا معبود بحقٍ إلا الله)؛ كما سبق.

❖ ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: هو الاعتراف باطناً وظاهراً أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة، والعمل بمقتضى ذلك من طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبدَ الله إلا بما شرع.

ثانياً، أركان الشهادتين:

❖ (لا إله إلا الله): لها ركنان، هما: النفي والإثبات.

فالركن الأول: النفي: (لا إله): يُبطل الشرك بجميع أنواعه، ويُوجب الكُفْرَ بكل ما يعبد من دون الله.

والركن الثاني: الإثبات: (إلا الله): يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويُوجب العمل بذلك. وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات؛ مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هو معنى الركن الأول (لا إله) وقوله: ﴿وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

وكذلك قوله عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٦١) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿ [الزخرف: ٢٦-٢٧].

فقوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ هو معنى النفي في الركن الأول، وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هو معنى الإثبات في الركن الثاني.

أركان شهادة أن محمدًا رسول الله: لها ركنان، هما قولنا: (عبده ورسوله)، وهما ينفيان الإفراط والتفريط في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو عبده ورسوله، وهو أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين، ومعنى العبد هنا: المملوك العابد؛ أي: أنه بشرٌ مخلوق مما خلق منه البشر؛ يجري عليه ما يجري عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقد وَفَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العبودية حقها، ومدحه الله بذلك، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١].

ومعنى الرسول: المبعوث إلى الناس كافة بالدعوة إلى الله بشيرًا ونذيرًا.
وفي الشهادة له بهاتين الصفتين: نفي للإفراط والتفريط في حقه صلى الله عليه وسلم، فإن كثيرًا ممن يدعي أنه من أمته أفرط في حقه، وغلا فيه، حتى رفعه فوق مرتبة العبودية إلى مرتبة العبادة له من دون الله؛ فاستغاث به من دون الله، وطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؛ من قضاء الحاجات وتفريج الكربات. والبعض الآخر جحد رسالته، أو فرط في متابعتة، واعتمد على الآراء والأقوال المخالفة لما جاء به؛ وتعسف في تأويل أخباره وأحكامه.

ثالثًا: شروط الشهاداتتين؛

❦ شروط لا إله إلا الله:

- لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها؛ وهي على سبيل الإجمال:
- الأول: العلم المنافي للجهل.
 - الثاني: اليقين المنافي للشك.
 - الثالث: القبول المنافي للرد.
 - الرابع: الانقياد المنافي للترك.
 - الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.
 - السادس: الصدق المنافي للكذب.
 - السابع: المحبة المنافية لضدها وهو البغضاء.

وأما تفصيلها فكما يلي:

الشرط الأول: العلم: أي العلم بمعناها المراد منها، وما تنفيه، وما تثبته، المنافي للجهل بذلك، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛ أي: (شهد) بلا إله إلا الله، (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدت به ألسنتهم، فلو نطق بها وهو لا يعلم معناها، لم تنفعه؛ لأنه لم يعتقد ما تدل عليه.

الشرط الثاني: اليقين: بأن يكون قائلها مستيقناً بما تدل عليه؛ فإن كان شاكاً بما تدل عليه، لم تنفعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

فإن كان مرتاباً، كان منافقاً، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَذْهَبَ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيَقِناً بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»^(١)، فمن لم يستيقن بها قلبه، لم يستحق دخول الجنة.

الشرط الثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه؛ فمن قأها، ولم يقبل ذلك، ولم يلتزم به؛ كان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٣٥ وَيَقُولُونَ آيُنَا لَنَآرِكُوا ءِلَٰهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿ [الصافات: ٣٥-٣٦]، وهذا كحال عباد القبور اليوم؛ فإنهم يقولون: (لا إله إلا الله)، ولا يتركون عبادة القبور؛ فلا يكونون قابليين لمعنى لا إله إلا الله.

(١) أخرجه مسلم (٥٢) (٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرط الرابع: الانقياد لما دلت عليه: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]، والعروة الوثقى: (لا إله إلا الله)، ومعنى يسلم وجهه؛ أي: ينقاد لله بالإخلاص له.

الشرط الخامس: الصدق: وهو أن يقول هذه الكلمة مصداقاً بها قلبه، فإن قالها بلسانه، ولم يصدق بها قلبه، كان منافقاً كاذباً، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٠].

الشرط السادس: الإخلاص: وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك؛ بأن لا يقصد بقولها طمعاً من مطامع الدنيا، ولا رياء ولا سمعة؛ لما في الحديث الصحيح من حديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» (١).

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما تدل عليه، ولأهلها العاملين بمقتضاها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

فأهل (لا إله إلا الله) يحبون الله حباً خالصاً، وأهل الشرك يحبونه، ويحبون معه غيره، وهذا ينافي مقتضى (لا إله إلا الله).

❦ **وشروط شهادة أن محمداً رسول الله هي:**

١ - الاعتراف برسالته، واعتقادها باطناً في القلب.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

- ٢- النطق بذلك، والاعتراف به ظاهراً باللسان.
- ٣- المتابعة له؛ بأن يعمل بما جاء به من الحق، ويترك ما نهى عنه من الباطل.
- ٤- تصديقه فيما أخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلية.
- ٥- محبته أشد من محبة النفس والمال، والولد والوالد، والناس أجمعين.
- ٦- تقديم قوله على قول كل أحد، والعمل بسنته.

رابعاً: مقتضى الشهادتين:

❁ مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله:

هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع المعبودات، المدلول عليه بالنفي، وهو قولنا: (لا إله)، وعبادة الله وحده لا شريك له، المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا: (إلا الله)، فكثير ممن يقولها يُخالف مقتضاها؛ فيثبت الإلهية المنفية للمخلوقين، والقبور، والمشاهد، والطواغيت، والأشجار، والأحجار.

وهؤلاء اعتقدوا أن التوحيد بدعة، وأنكروه على من دعاهم إليه، وعابوا على من أخلص العبادة لله.

❁ ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته وتصديقه، وترك ما

نهى عنه، والاقتصار على العمل بسنته، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد.

خامساً: نواقض الشهادتين:

هي نواقض الإسلام؛ لأن الشهادتين هنا هما اللتان يدخل المرء بالنطق بهما في الإسلام، والنطق بهما اعتراف بمدلولهما، والتزام بالقيام بما تقضيانه؛

من أداء شعائر الإسلام، فإذا أخل بهذا الالتزام، فقد نقض التعهد الذي تعهد به حين نطق بالشهادتين.

ونواقض الإسلام كثيرة، قد عقد لها الفقهاء في كتب الفقه باباً خاصاً، سموه (باب الردة)، وأهمها عشرة نواقض، ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ:

١- الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومنه الذبح لغير الله؛ كالذبح للأضرحة، أو الذبح للجن.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط؛ يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم؛ فإنه يكفر إجماعاً.

٣- من لم يكفر المشركين، ومن يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر.

٤- من اعتقد أن هدي غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويفضلون حكم القوانين على حكم الإسلام.

٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ولو عمل به-، كفر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه، كفر، والدليل

على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ [التوبة: ٦٥-٦٦].

٧- السحرُّ، ومنهُ الصرفُ والعطفُ (لعله يقصد عمل ما يصرفُ الرجلُ عن حب زوجته، أو عمل ما يجيبها إليه)، فمن فعله، أو رضي به، كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨- مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر.

قلت: وكما يعتقدُه غلاة الصوفية أنهم يصلون إلى درجةٍ لا يحتاجون معها إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٠- الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما، ويخاف منهما على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه)^(١).

(١) انظر: الرسائل الشخصية (٦/ ٢١٤)، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (١/ ٣٨٧)، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الفصل الثالث في التشريع



التشريع حق لله تعالى؛ والمراد بالتشريع: ما ينزله الله لعباده من المنهج الذي يسرون عليه في العقائد والمعاملات وغيرها؛ ومن ذلك التحليل والتحرير، فليس لأحد أن يحل إلا ما أحله الله، ولا يحرم إلا ما حرم الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

فقد نهى الله عن التحليل والتحرير بدون دليل من الكتاب والسنة، وأخبر أن ذلك من الكذب على الله؛ كما أخبر سبحانه أن من أوجب شيئاً أو حرم شيئاً من غير دليل، فقد جعل نفسه شريكاً لله فيما هو من خصائصه، وهو التشريع، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، ومن أطاع هذا المشرع من دون الله، وهو يعلم بذلك، ووافقه على فعله، فقد أشركه مع الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ يعني: الذين يُحِلُّون ما حرم الله من الميتات، من أطاعهم في ذلك، فهو مشرك؛ كما أخبر سبحانه أن من أطاع الأحرار والرهبان في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحله الله؛ فقد اتخذهم أرباباً من دون الله،

قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، ولما سمع عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية، قال: «إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ قَالَ: «الَّذِينَ يَحْلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرِّمُونَهُ؟» قَالَ: بَلَى قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»^(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الحديث دليل على أَنَّ طاعة الأحرار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وهذا وقع فيه كثير من النَّاس مع من قلدوهم؛ لعدم اعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد؛ وهو من هذا الشرك) انتهى^(٢).

فالتزام شرع الله، وترك شرع ما سواه هو من مقتضى لا إله إلا الله - والله المستعان.



(١) أخرجه الترمذي بنحو هذا اللفظ (٣٠٩٥).

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٣٩٠).

الْفَضِيلَةُ الْإِلَهِيَّةُ

الْعِبَادَةُ: مَعْنَاهَا، شُمُولُهَا

معنى العبادة:

أصل العبادة: التذلل والخضوع^(١).

وفي الشرع: لها تعاريف كثيرة، ومعناها واحد^(٢).

منها: أن العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة رسله.

ومنها: أن العبادة معناها: التذلل لله سبحانه، فهي: غاية الذل لله تعالى

مع غاية حبه.

(١) انظر مادة (عبد) في: العين (٢/ ٤٨)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٣٦)، والصحاح (٢/ ٥٠٢)،

ومقاييس اللغة (٤/ ٢٠٥)، ولسان العرب (٣/ ٢٧٠).

قال ابن القيم: «وَالْعِبَادَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: غَايَةُ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذَّلِّ وَالْخُضُوعِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، وَالتَّعَبُّدُ: التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ، فَمَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَمْ تَكُنْ خَاضِعًا لَهُ، لَمْ

تَكُنْ عَابِدًا لَهُ، وَمَنْ خَضَعْتَ لَهُ بِلَا مُحَبَّةٍ لَمْ تَكُنْ عَابِدًا لَهُ حَتَّى تَكُونَ مُحِبًّا خَاضِعًا». انظر:

التفسير القيم (١/ ٦٩)، ومدارج السالكين (١/ ٩٥-٩٦)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٢٥)،

(١٧/ ٥٦).

قال الزجاج: «وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ. وَيُقَالُ طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ إِذَا كَانَ

مِثْلًا بِكَثْرَةِ الْوُطْءِ، وَبَعِيرٌ مُعَبَّدٌ إِذَا كَانَ مَطْلِيًّا بِالْقَطِرَانِ». انظر: معاني القرآن وإعرابه

(١/ ٤٨).

(٢) انظر: المسودة (ص ٣٨)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩)، والتعريفات للجرجاني

(١٨٩)، والتعاريف للمناوي (ص ٤٩٨)، والتحبير شرح التحرير (٢/ ١٠٠١).

والتعريف الجامع لها هو أن العبادة: (اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ) ^(١).

وهي مُنْقَسِمَةٌ عَلَى القلب واللسان والجوارح؛ فالخوف والرجاء، والمحبة والتوكل، والرغبة والرغبة: عبادة قلبية، والتسبيح والتهليل والتكبير، والحمد والشكر باللسان والقلب: عبادة لسانية قلبية.

والصلاة والزكاة والحج والجهاد: عبادة بدنية قلبية، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي تجري على القلب واللسان والجوارح، وهي كثيرة ^(٢).

والعبادة: هي التي خلق الله الخلق من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ^(٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ^(٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الذاريات: ٥٦-٥٨]، فأخبر سبحانه أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي قيامهم بعبادة الله، والله غنيٌّ عن عبادتهم، وإنما هم المحتاجون إليها لفقرهم إلى الله تعالى، فيعبدونه على وفق شريعته، فمن أبى أن يعبد الله، فهو مستكبر، ومن عبده وعبد معه غيره، فهو مشرك، ومن عبده وحده بغير ما شرع، فهو مبتدع، ومن عبده وحده بما شرع، فهو المؤمن الموحد.

(١) انظر: (رسالة العبودية) ضمن مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/١٠٩).

أنواع العبادة وشمولها:

العبادة لها أنواع كثيرة؛ فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح، والصادرة عن القلب؛ كالذكر والتسبيح والتهليل، وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، فهي شاملة لكل تصرفات المؤمن؛ إذا نوى بها القربة أو ما يعين عليها. حتى العادات، إذا قصد بها التقوي على الطاعات، كالنوم والأكل والشرب، والبيع والشراء، وطلب الرزق والنكاح، فإن هذه العادات مع النية الصالحة تصير عبادات؛ يثاب عليها، وليست العبادة قاصرة على الشعائر المعروفة.



الْفَضْلُ الْخَامِسُ

في بيان مفاهيم خاطئة في تحديد العبادة



العبادات توقيفية؛ بمعنى: أنه لا يشرع شيء منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، وما لم يشرع يعتبر بدعة مردودة؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، أي: مردود عليه عمله، لا يقبل منه، بل يَأْثَمُ عليه؛ لأنه معصية، وليس طاعة، ثم إن المنهج السليم في أداء العبادات المشروعة هو: الاعتدال بين التساهل والتكاسل؛ وبين التشدد والغلو. قال تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢]. فهذه الآية الكريمة فيها رسم لخطة المنهج السليم في فعل العبادات، وذلك بالاستقامة في فعلها على الطريق المعتدل؛ الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط؛ حسب الشرع: ﴿كَمَا أَمَرْتَ﴾، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾، والطغيان: مجاوزة الحد بالتشدد والتنطع، وهو الغلو^(٢).

ولما علم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن ثلاثة من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تقالوا في أعمالهم؛ حيث قال أحدهم: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقاً في كتاب البيوع - باب النجش (٣٥٦/٤) مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (٣١٧/١٣) مع الفتح).

(٢) انظر: العين (٤/٤٤٦)، وتهذيب اللغة (٨/١٦٨)، ومقاييس اللغة (٤/٣٨٧)، ولسان العرب (١٥/١٣١).

فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وهناك الآن فئتان من الناس على طرفي نقيض في أمر العبادة:

الفئة الأولى: قصّرت في مفهوم العبادة، وتساهلت في أدائها، حتى عطلت كثيرًا من أنواعها، وقصرتها على أعمال محدودة، وشعائر قليلة، تؤدي في المسجد فقط، ولا مجال للعبادة في البيت، ولا في المكتب، ولا في المتجر، ولا في الشارع، ولا في المعاملات، ولا في السياسة، ولا الحكم في المنازعات، ولا غير ذلك من شؤون الحياة.

نعم للمسجد فضلٌ، ويجب أن تؤدي فيه الصلوات الخمس، ولكن العبادة تشمل كل حياة المسلم؛ داخل المسجد وخارجه.

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَانَتْهُمْ تَقَالُوبُهَا، فَقَالُوا: وَآيَنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الْآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الْآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ وَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي».

الفئة الثانية: تشددت في تطبيق العبادات إلى حد التطرف، رفعت المستحبات إلى مرتبة الواجبات، وحرّمت بعض المباحات، وحكمت بالتضليل أو التخطئة على من خالف منهجها، وخطأ مفاهيمها. وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها^(١).



(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ».

وروى البخاري نحوه (٧٢٧٧) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]».

الفصل السالِس

في بيان ركائز العبودية الصحيحة



إن العبادة تركز على ثلاث ركائز، هي: الحب والخوف والرجاء.

فالحب مع الذل، والخوف مع الرجاء، لا بد في العبادة من اجتماع هذه الأمور، قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال في وصف رُسُله وأنبياؤه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خِدِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال بعض السلف: (مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ، فَهُوَ زَنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حُرُورِي، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ). ذكر هذا شيخ الإسلام في رسالة «العبودية»^(١).

وقال -أيضاً-: (فَدِينُ اللَّهِ عِبَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ وَالْخُضُوعُ لَهُ. وَالْعِبَادَةُ أَصْلُ مَعْنَاهَا الذُّلُّ -أيضاً-، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ إِذَا كَانَ مُذَلَّلًا قَدْ وَطِنَتْهُ الْأَقْدَامُ. لَكِنَّ الْعِبَادَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الذُّلِّ وَمَعْنَى الْحُبِّ فَهِيَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ بِغَايَةِ الْمَحَبَّةِ لَهُ، وَمَنْ خَضَعَ لِإِنْسَانٍ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ،

(١) انظر: رسالة العبودية ضمن مجموع الفتاوى (١٠ / ٨١).

وَلَوْ أَحَبَّ شَيْئًا وَلَمْ يَخْضَعْ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا لَهُ، كَمَا قَدْ يُحِبُّ وَلَدَهُ وَصَدِيقَهُ،
وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَى
الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ لَا يَسْتَحِقُّ
الْمُحَبَّةَ وَالذَّلَّ التَّامَّ إِلَّا اللَّهُ...). انتهى^(١).

هذه ركائز العبودية التي تدور عليها، قال العلامة ابن القيم في
النونية^(٢):

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ	مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ	مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرُ رَسُولِهِ	لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

شَبَّهَ رَحِمَهُ اللَّهُ دَوْرَانَ الْعِبَادَةِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالذَّلِّ لِلْمَحْبُوبِ - وَهُوَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا - بِدَوْرَانِ الْفَلَكَ عَلَى قُطْبِيهِ، وَذَكَرَ أَنَّ دَوْرَانَ فَلَكِ الْعِبَادَةِ بِأَمْرِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا شَرَعَهُ، لَا بِالْهَوَى وَمَا تَأْمُرُ بِهِ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ
مِنَ الْعِبَادَةِ. فَمَا شَرَعَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الَّذِي يَدِيرُ فَلَكَ الْعِبَادَةِ،
وَلَا تُدِيرُهُ الْبِدْعُ وَالْخِرَافَاتُ وَالْأَهْوَاءُ وَتَقْلِيدُ الْآبَاءِ.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٥٢/١٠ - ١٥٣).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢٥٣/١).



٣- توحيد الأسماء والصفات :

ويتضمن ما يلي:

الفصل الأول: الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء

والصفات.

الفصل الثاني: منهج أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

الفصل الثالث: الردُّ على من أنكر الأسماء والصفات، أو أنكر شيئاً

منها.



الفَصْلُ الْأَوَّلُ

الأدلة من الكتاب والسنة والعقل

على ثبوت الأسماء والصفات



الأدلة من الكتاب والسنة:

سبق أن ذكرنا أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وذكرنا جملة من الأدلة على النوعين الأولين: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية. والآن نذكر الأدلة على النوع الثالث: وهو توحيد الأسماء والصفات.

فإليك شيئاً من أدلة الكتاب والسنة:

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، أثبت الله سبحانه في هذه الآية لنفسه الأسماء، وأخبر أنها حسنى، وأمر بدعائه؛ بأن يُقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا حي، يا قيوم، يا رب العالمين. وتوعد الذين يلحدون في أسمائه؛ بمعنى أنهم يميلون بها عن الحق؛ إما بنفيها عن الله، أو تأويلها بغير معناها الصحيح، أو غير ذلك من أنواع الإلحاد. توعدهم بأنه سيُجازيهم بعملهم السيئ.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ
الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿[الحشر: ٢٢-٢٤]﴾، فدلَّت هذه الآيات على إثبات الأسماء لله.

❦ ومن الأدلة على ثبوت أسماء الله من سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً
وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

وليست أسماء الله منحصرة في هذا العدد، بدليل ما رواه عبد الله بن
مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «... أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ
بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي
عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبِيعَ قَلْبِي...» الحديث^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/١)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٣/٣)، وابن أبي شيبة
في مصنفه (٤٠/٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٩٨/٩)، والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢)
عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ
وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ
حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا
مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ
رِبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ
مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ
يَتَعَلَّمَهَا».

وكل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من صفاته؛ فالعليم يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسميع البصير يدلان على السمع والبصر، وهكذا كل اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى، وقال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمِنُهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتِحَ سُورَةٌ يَقْرَأُ بِهَا هُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ: يَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدْعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمَكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يُؤْمِنَهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا آتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»، فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(١).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ

(١) أخرجه أحمد (٤٢١/١٩)، وعبد بن حميد (١٣٠٦)، والدارمي (٣٤٧٨)، والبخاري (٢٩١/١٣)، وأبو يعلى (٨٣/٦)، وابن حبان (٧٢/٣)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٩٠)، وابن منده في التوحيد (٦٨/١)، والبغوي في شرح السنة (٤٧٥/٤).

لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(١)؛ يعني: أنها اشتملت على صفاتِ الرَّحْمَنِ.

وقد أخبر سبحانه أَنَّ له وجهًا، فقال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَأَنَّ له يدين، فقال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَأَنَّهُ يَرْضَى، وَيُحِبُّ، وَيَغْضِبُ، وَيَسْخَطُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❀ وَأَمَّا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى ثُبُوتِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ، فَهُوَ أَنْ يُقَالَ:

❀ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ الْعَظِيمَةُ عَلَى تَنَوُّعِهَا، وَاخْتِلَافِهَا، وَانْتِظَامِهَا فِي أَدَاءِ مَصَالِحِهَا، وَسِيرِهَا فِي خَطِّهَا الْمَرْسُومَةِ لَهَا، تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِئَتِهِ.

❀ الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ، وَكُشْفُ الضَّرِّ، وَتَفْرِيجُ الْكُرْبَاتِ؛ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ وَالْجُودِ.

❀ وَالْعِقَابُ وَالْإِنْتِقَامُ مِنَ الْعَصَاةِ؛ يَدْلَانِ عَلَى غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَكَرَاهِيَتِهِ لَهُمْ.

❀ وَإِكْرَامُ الطَّائِعِينَ وَإِثَابَتُهُمْ؛ يَدْلَانِ عَلَى رِضَا اللَّهِ عَنْهُمْ وَمَحَبَّتِهِ لَهُمْ.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٢٦٣) (٨١٣).

الْفَضْلُ الثَّانِي

منهج أهل السنة والجماعة

في أسماء الله وصفاته



منهج أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم: إثبات أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة، وينبغي منهجهم على القواعد التالية:

❖ أنهم يُثبتون أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة على ظاهرها، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني، ولا يؤولونها عن ظاهرها، ولا يُحرفون ألفاظها ودلالاتها عن مواضعها.

❖ ينفون عنها مشابهة صفات المخلوقين؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

❖ لا يتجاوزون ما ورد في الكتاب والسنة في إثبات أسماء الله وصفاته، فما أثبتته الله ورسوله من ذلك، أثبتوه، وما نفاه الله ورسوله، نفوه، وما سكت عنه الله ورسوله، سكتوا عنه.

❖ يعتقدون أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي يفهم معناه، ويُفسر، وليست من المتشابهة؛ فلا يُفوّضون معناها؛ كما ينسب ذلك إليهم من كذب عليهم، أو لم يعرف منهجهم من بعض المؤلفين والكتاب المعاصرين.

❖ يفوّضون كيفية الصفات إلى الله تعالى، ولا يبحثون عنها.

الفصل الثالث

الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ، أَوْ أَنْكَرَ بَعْضَهَا

الذين يُنكرون الأسماء والصفات ثلاثة أصناف:

❁ الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهؤلاء يُنكرون الأسماء والصفات جميعاً.

❁ المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء؛ الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهؤلاء يُثبتون الأسماء على أنها ألفاظ مُجرّدة عن المعاني، وينفون الصفات كلها.

❁ الأشاعرة، والماتريدية ومن تبعهم: وهؤلاء يثبتون الأسماء وبعض الصفات، وينفون بعضها، والشُّبهة التي بنوا عليها جميعاً مذهبهم: هي الفرارُ من تشبيه الله بخلقه -بزعمهم-؛ لأن المخلوقين يُسمَّون ببعض تلك الأسماء، ويوصفون بتلك الصفات، فيلزمُ من الاشتراك في لفظ الاسم والصفة ومعناها الاشتراك في حقيقتها، وهذا يلزمُ منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم، والتزموا حيال ذلك أحد أمرين:

الأمر الأول: إما تأويلُ نصوص الأسماء والصفات عن ظاهرها، كتأويل الوجه بالذات، واليد بالنعمة.

الأمر الثاني: وإما تفويض معاني هذه النصوص إلى الله، فيقولون: (الله أعلم بمراده منها)؛ مع اعتقادهم أنها ليست على ظاهرها.

وأول من عُرِفَ عنه إنكار الأسماء والصفات بعض مشركي العرب، الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ آلِدَىٰ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وسبب نزول هذه الآية: أن قريشاً لما سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الرحمن؛ أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾، وذكر ابن جرير أن ذلك كان في صلح الحديبية؛ حين كتب الكاتب في قضية الصلح الذي جرى بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» في صلح الحديبية فقالوا: «لَا تَكْتُبِ الرَّحْمَنَ، وَمَا نَذْرِي مَا الرَّحْمَنُ، وَلَا نَكْتُبُ إِلَّا بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»^(١) وروى ابن جرير -أيضاً- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ساجداً يقول: «يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ»، فقال المشركون: هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا وَهُوَ يَدْعُو مَثْنَى مَثْنَى، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠] (٢).

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

(١) أخرجه ابن جرير (٤٤٦/١٦).

(٢) أخرجه ابن جرير (٥٨٠/١٧).

فهؤلاء المشركون هم سلف الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، وكل من نفى عن الله ما أثبتته لنفسه، أو أثبت له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسماء الله وصفاته. وبشّ السلف لبس الخلف!

والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وأثبتها له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنفىها عن الله أو نفى بعضها نفياً لما أثبتته الله ورسوله، وهذا محادة لله ورسوله.

الوجه الثاني: أنه لا يلزم من وجود هذه الصفات في المخلوقين، أو من تسمي بعض المخلوقين بشيء من تلك الأسماء المشابهة بين الله وخلقه، فإن لله سبحانه أسماء وصفات تخصه، وللمخلوقين أسماء وصفات تخصهم، فكما أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين، فله أسماء وصفات لا تشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم، والاشتراك في الاسم والمعنى العام لا يوجب الاشتراك في الحقيقة، فقد سَمَى الله نفسه عليماً، حليماً، وسمى بعض عباده عليماً، فقال: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]؛ يعني: إسحاق، وسمى آخر حليماً، فقال: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١]؛ يعني: إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم، وسمى نفسه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وسمى بعض عباده سميعاً بصيراً، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وليس السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير.

وسمى نفسه بالرؤوف الرحيم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيماً، فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وليس الرؤوف كالرؤوف، ولا الرحيم كالرحيم.

وكذلك وصف نفسه بصفات، ووصف عباده بنظير ذلك، مثل قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فوصف نفسه بالعلم، ووصف عباده بالعلم، فقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [القصص: ٨٠]، ووصف نفسه بالقوة، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ووصف عباده بالقوة، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، إلى غير ذلك.

ومعلوم أن أسماء الله وصفاته تخصه، وتليق به، وأسماء المخلوقين تخصهم، وتليق بهم، ولا يلزم من الاشتراك في الاسم والمعنى الاشتراك في الحقيقة؛ وذلك لعدم التماثل بين المسمَّين والموصوفين، وهذا ظاهر، والحمد لله.

الوجه الثالث: أن الذي ليس له صفات كمال لا يصلح أن يكون إلهاً؛ ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]، وقال

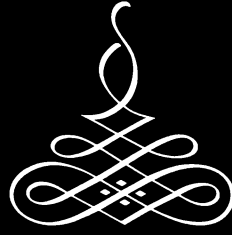
تعالى في الرد على الذين عبدوا العجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

الوجه الرابع: أنَّ إثبات الصفات كمال، ونفيها نقص، فالذي ليس له صفات إما معدوم وإما ناقص، والله تعالى مُنَزَّه عن ذلك.

الوجه الخامس: أنَّ تأويل الصِّفَاتِ عن ظاهرها لا دليل عليه، فهو باطل، وتفويض معناها يلزم منه أن الله خاطبنا في القرآن بما لانفهم معناه، وأمرنا بتدبر القرآن كله، فكيف يأمرنا بتدبر ما لا يُفهم معناه؟!

فتبين من هذا أنه لا بد من إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله، مع نفي مشابهة المخلوقين؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: ١١]، فنفي عن نفسه مُمَّاثِلَةَ الْأَشْيَاءِ، وأثبت له السمع والبصر، فدل على أنَّ إثبات الصفات لا يلزم منه التشبيه، وعلى وجوب إثبات الصفات مع نفي المشابهة، وهذا معنى قول أهل السنة والجماعة في النفي والإثبات في الأسماء والصفات: (إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل).





البَابُ الثَّالِثُ

في بيان الشرك والانحراف في
حياة البشرية ولمحة تاريخية عن
الكفر والإلحاد والشرك والنفاق

ويتضمّن الفصول التالية :

الفصل الأول: الانحراف في حياة الشعوب.

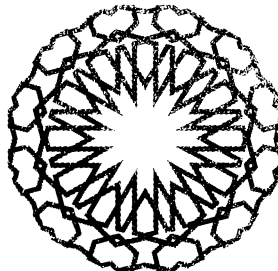
الفصل الثاني: الشرك - تعريفه وأنواعه.

الفصل الثالث: الكفر - تعريفه وأنواعه.

الفصل الرابع: النفاق - تعريفه وأنواعه.

الفصل الخامس: بيان حقيقة كل من: الجاهلية - الفسق - الضلال

- الردة: أقسامها، وأحكامها.



الفصل الأول

الانحراف في حياة البشرية

خلق الله الخلق لعبادته، وهياً لهم ما يعينهم عليها من رزقه، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والنفس بفطرتها إذا تركت، كانت مقرة لله بالإلهية، محبة لله، تعبده لا تُشرك به شيئاً، ولكن يفسدها وينحرف بها عن ذلك ما يُزيّن لها شياطين الإنس والجن؛ بما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، فالتوحيد مركوز في الفطرة، والشرك طارئ ودخيل عليها، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١)، فالأصل في بني آدم: التوحيد.

والدين الإسلام، وكان عليه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن جاء بعده من ذريته قروناً طويلة، قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وأوّل ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة الصحيحة في قوم نوح،

(١) سبق تخريجه (ص ١٩).

فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ رَسُولٍ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ بَعْدَ حَدُوثِ الشَّرِكِ فِيهَا: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كان بين آدم ونوح عليهما السَّلَامُ عشرة قرون؛ كلهم على الإسلام) ^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا القول هو الصواب قطعاً؛ فإنَّ قراءة أبي ابن كعب -يعني: في آية البقرة-: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ ^(٢). ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] ^(٣).

يريد رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ بَعَثَهُ النَّبِيِّينَ سَبَبُهَا الاختلاف عما كانوا عليه من الدين الصحيح؛ كما كانت العربُ بعد ذلك على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حتى جاء عمرو بن لحي الخزاعي، فغيَّرَ دينَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجلبَ الأصنامَ إلى أرض العرب، وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعُبدت من دون الله، وانتشر الشركُ في هذه البلاد المقدسة، وما جاورها ^(٤)؛ إلى أن بعثَ الله نبيه

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٢١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ، وَآدَمَ، عَشْرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٦٢٣).

(٣) انظر: إغاثة اللفهان (٢/ ١٠٢).

(٤) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٢/ ٢٣٢). وأخرج البخاري (٣٣٣٣)، ومسلم (٥١) (٢٨٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخَزَاعِيَّ يَجُرُّ قُضْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ».

محمدًا خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا الناس إلى التوحيد، واتباع ملة إبراهيم، وجاهد في الله حق جهاده، حتى عادت عقيدة التوحيد وملة إبراهيم، وكسر الأصنام، وأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة على العالمين، وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة؛ إلى أن فشا الجهل في القرون المتأخرة، ودخلها الدخيل من الديانات الأخرى، فعاد الشرك إلى كثير من هذه الأمة؛ بسبب دعاة الضلالة، وبسبب البناء على القبور، متمثلاً بتعظيم الأولياء والصالحين، وادعاء المحبة لهم؛ حتى بنيت الأضرحة على قبورهم، واتخذت أوثاناً تُعبد من دون الله، بأنواع القربات من دعاء واستغاثة، وذبح ونذر لمقامهم. وسَمُوا هذا الشرك: توسُّلاً بالصالحين، وإظهاراً لمحبتهم، وليس عبادة لهم - بزعمهم -، ونسوا أن هذا هو قول المشركين الأولين حين يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣].

ومع هذا الشرك الذي وقع في البشرية قديماً وحديثاً، فالأكثرية منهم يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما يُشركون في العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

ولم يجحد وجود الرب إلا نزر يسير من البشر، كفرعون والملاحدة الدهريين، والشيوعيين في هذا الزمان، وجحودهم به من باب المكابرة، وإلا فهم مضطرون للإقرار به في باطنهم وقرارة نفوسهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وعقولهم تعرف أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وكل موجود لا بد له من موجد، وأن نظام هذا الكون المنضبط الدقيق لا بد له من مدبر حكيم، قدير عليم، من أنكره، فهو إما فاقد لعقله، أو مكابر قد ألغى عقله، وسفه نفسه، وهذا لا عبرة به.

الْفَضْلُ الثَّانِي

الشرك: تعريفه، أنواعه

❖ **تعريفه:** الشرك هو: جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته.

والغالب: الإشراك في الألوهية؛ بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة، كالذبح والنذر، والخوف والرجاء والمحبة. والشرك أعظم الذنوب؛ وذلك لأمر:

❖ لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فمن أشرك مع الله أحداً، فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه^(١)، فمن عبد غير الله، فقد وضع العبادة في غير موضعها، وصرفها لغير مستحقها، وذلك أعظم الظلم.

❖ أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

❖ أن الله أخبر أنه حرّم الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(١) قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَصْلُ الظُّلْمِ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٧٤)، والصحاح (٥/ ١٩٧٧)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٦٨)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣).

❖ أَنَّ الشَّرْكَ يُحِبِّطُ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

❖ أَنَّ الْمَشْرَكَ حَلَالُ الدَّمِ وَالْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا» (١).

❖ أَنَّ الشَّرْكَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُتْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ...» الْحَدِيثُ (٢).

قال العلامة ابن القيم: (أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْقَصْدَ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ: أَنْ يُعْرَفَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ، وَأَنْ يَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

(١) سبق تخريجه (ص ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُتْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، فَمَا زَالَ يَكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَهُوَ الْعَدْلُ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْقِسْطِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ رَأْسُ الْعَدْلِ وَقَوَامُهُ، وَإِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَالشِّرْكَ أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وَالتَّوْحِيدُ أَعْدَلُ الْعَدْلِ، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِهَذَا الْمُقْصُودِ فَهُوَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ).

إِلَى أَنْ قَالَ: (فَلَمَّا كَانَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ مُنَافِيًا بِالذَّاتِ لِهَذَا الْمُقْصُودِ، كَانَ أَكْبَرَ الْكِبَائِرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ، وَأَبَاحَ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ عِبِيدًا لَهُمْ لَمَّا تَرَكَوا الْقِيَامَ بِعِبُودِيَّتِهِ، وَأَبَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُشْرِكٍ عَمَلًا أَوْ يَقْبَلَ فِيهِ شَفَاعَةٌ أَوْ يَسْتَجِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ دَعْوَةً، أَوْ يُقْبَلَ لَهُ عَثْرَةٌ، فَإِنَّ الْمُشْرِكَ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ بِاللَّهِ، حَيْثُ جَعَلَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نِدًّا، وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَهْلِ بِهِ، كَمَا أَنَّهُ غَايَةُ الظُّلْمِ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الْمُشْرِكُ لَمْ يَظْلِمِ رَبَّهُ وَإِنَّمَا ظَلَمَ نَفْسَهُ) انتهى (١).

❀ أن الشرك تنقص وعيب، نزه الرب سبحانه نفسه عنهما، فمن أشرك بالله، فقد أثبت لله ما نزه نفسه عنه، وهذا غاية المحادّة لله تعالى، وغاية المعاندة والمشاقة لله.

أنواع الشرك

الشرك نوعان:

النوع الأول: شرك أكبر يُخرج من الملة، ويخلد صاحبه في النار، إذا مات، ولم يتب منه، وهو صرفُ شيء من أنواع العبادة لغير الله؛ كدعاء

(١) انظر: الجواب الكافي (ص ١٢٨-١٢٩).

غير الله، والتقرب بالذبائح والندور لغير الله من القبور والجن والشياطين، والخوف من الموتى أو الجن أو الشياطين أن يضروه أو يُمرضوه، ورجاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، مما يُبارس الآن حول الأضرحة المبنية على قبور الأولياء والصالحين، قال تعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

والنوع الثاني: شرك أصغر، لا يخرج من الملة؛ لكنه ينقص التوحيد، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر على اللسان والجوارح، وهو: ألفاظ وأفعال، فالألفاظ كالحلف بغير الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»^(١)، وقول: (ما شاء الله وشئت)، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لما قال له رجل: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتُ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدَاءً؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢)، وقول: (لولا الله وفلان)، والصوابُ أن يُقال: ما شاء الله، ثُمَّ شاء فلان^(٣)؛ ولولا الله ثُمَّ فلان؛ لأن (ثم) تفيدُ الترتيب مع التراخي، وتجعلُ مشيئة العبد

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢٤٩/١٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٤٥/٦)، وأحمد في المسند (٢١٤/١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٠/٥)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٢٤٥/٦)، وابن ماجه (١٠٨٢١)، وأحمد في المسند (٣٨٤/٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٠/٥)، والبيهقي في الكبرى =

تابعة لمشيئة الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وأما الواو: فهي لمطلق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيياً ولا تعقيباً؛ ومثله قول: (ما لي إلا الله وأنت)، و(هذا من بركات الله وبركاتك).

وأما الأفعال: فمثل: لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التائم خوفاً من العين وغيرها؛ إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر؛ لأن الله لم يجعل هذه أسباباً، أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها، فهذا شرك أكبر؛ لأنه تعلّق بغير الله.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي، وهو الشرك في الإرادات والنيات؛ كالرياء والسمعة، كأن يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله؛ يريد به ثناء الناس عليه، كأن يُحسن صلاته، أو يتصدق؛ لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه، أو يتلفظ بالذكر، ويحسن صوته بالتلاوة؛ لأجل أن يسمعه الناس، فيثنوا عليه ويمدحوه.

والرياء إذا خالط العمل، أبطله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

= (٢١٦/٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، قال: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ».

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ»، قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ: وما الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قال: «الرِّيَاءُ إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاوُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»^(١)، ومنه: العمل لأجل الطمع الدنيوي؛ كمن يحج، أو يؤذن، أو يؤم الناس لأجل المال، أو يتعلم العلم الشرعي، أو يجاهد لأجل المال. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدُّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيٌ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطٌ»^(٢).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا الشِّرْكَ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ، فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلٌّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ، وَتَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ الْجَزَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ اللَّهُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَإِرَادَتِهِ وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مِنْ رَغْبَ عَنْهَا، فَهُوَ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ) انتهى^(٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٢٨/٥، ٤٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٥٤/٩) من حديث محمود ابن لبيد رَحِمَهُ اللَّهُ عَنهُ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٣/٤) من طريق محمود بن لبيد عن رافع بن خديج عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧).

(٣) انظر: الجواب الكافي (ص ١٣٥).

يتلخّص مما مرّ أن هناك فروقاً بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

- ١ - الشرك الأكبر يُخرج من الملة، والشرك الأصغر لا يُخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد.
- ٢ - الشرك الأكبر يُخلّد صاحبه في النار، والشرك الأصغر لا يُخلّد صاحبه فيها إن دَخَلَهَا.
- ٣ - الشرك الأكبر يُحِبُّ جميعَ الأعمال، والشرك الأصغر لا يُحِبُّ جميعَ الأعمال، وإنما يُحِبُّ الرياءَ والعملَ لأجل الدنيا العملَ الذي خالطاه فقط.
- ٤ - الشرك الأكبر يبيع الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيعهما.



الفصل الثالث

الكفر: تعريفه - أنواعه



(أ) تعريفه:

الكفر في اللغة: التغطية والستر^(١).

والكفر شرعاً: ضد الإيمان، فَإِنَّ الْكُفْرَ: عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب، أو إعراض، أو حسد، أو كبر، أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع الرسالة. وإن كان المكذب أعظم كفراً، وكذلك الجاحد والمكذب حسداً؛ مع استيقان صدق الرسل^(٢).

(ب) أنواعه:

الكفر نوعان:

❖ النوع الأول: كفر أكبر يخرج من الملة، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: كُفْرُ التَّكْذِيبِ، والدَّلِيلُ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

(١) انظر: العين (٣٥٧/٥)، وتهذيب اللغة (١١٢/١٠)، والصحاح (٨٠٨/٢)، ومقاييس اللغة (١٩١/٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٥/١٢).

القسم الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

القسم الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].
 ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۖ﴾ [الكهف: ٣٧]. ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨-٣٩].

القسم الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

القسم الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

النوع الثاني: كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كُفْرًا، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر؛ مثل: كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

ومثل: قتال المسلم المذكور في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١)، وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (١١٦) (٦٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بَغْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١)، ومثل: الحلف بغير الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»^(٢)، فقد جعل الله مُرْتَكِبَ الكبيرة مُؤْمِنًا، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبٌ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فلم يُخرج القاتل من الدين آمنوا، وجعله أخًا لولي القصاص، فقال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، والمراد: أخوة الدين، بلا ريب. وقال تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، انتهى من شرح الطحاوية باختصار^(٣).

وملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

❖ أن الكفر الأكبر يُخرج من الملة، ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة، ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه، ويعرض صاحبها للوعيد.

❖ أن الكفر الأكبر يُخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار، فإنه لا يخلد فيها؛ وقد يتوب الله على صاحبه، فلا يدخله النار أصلاً.

❖ أن الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يُبيح الدم والمال.

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (١١٨) (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص ٨٧).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (ص ٣٦١).

❁ أن الكفر الأكبر يُوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر، فإنه لا يمنع الموالاتة مطلقاً، بل صاحبه يُحِبُّ ويؤالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان.



الْفَضِيلُ الْإِبْرَائِي

النفاق: تعريفه، أنواعه

تعريفه:

النفاق لغة: مصدر نافق، يُقال: نافق يُنافق نفاقاً ومنافقة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره؛ فإنه إذا طلب من مخرج هرب إلى الآخر، وخرج منه، وقيل: هو من النفق وهو: السرُّ الذي يستتر فيه^(١).

وأما النفاق في الشرع، فمعناه: إظهارُ الإسلام والخير، وإبطانُ الكفر والشر؛ سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر^(٢)، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أي: الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرًّا من الكافرين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا

(١) انظر: العين (٥/ ١٧٧)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٥٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٩٨/ ٥).

(٢) انظر: شرح المشكاة للطبري (٢/ ٥٠٨)، والكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (١٤٧/ ١)، واللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (١/ ٢١٦)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١/ ٢١٧).

يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿البقرة: ٩-١٠﴾.

أنواع النفاق؛

النفاق نوعان:

النوع الأول: النفاق الاعتقادي: وهو النفاق الأكبر الذي يُظهر صاحبه الإسلام، ويُبطن الكفر، وهذا النوع مخرج من الدين بالكلية، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وقد وَصَفَ الله أهله بصفات الشر كلها: من الكفر وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدين وأهله، والسخرية منهم، والميل بالكلية إلى أعداء الدين؛ لمشاركتهم لهم في عداوة الإسلام. وهؤلاء موجودون في كل زمان، ولا سيما عندما تظهر قوة الإسلام، ولا يستطيعون مقاومته في الظاهر، فإنهم يظهرون الدخول فيه؛ لأجل الكيد له ولأهله في الباطن، ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين، ويأمنوا على دمائهم وأموالهم؛ فيظهر المنافق إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بالله، ولا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر، جعله رسولاً للناس يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه، وقد هتك الله أستار هؤلاء المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن الكريم، وجلّى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر. وذكر طوائف العالم الثلاث في أول البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جداً؛ لأنهم

منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة؛ يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

وهذا النفاق ستة أنواع:

- ١ - تكذيب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢ - تكذيبُ بعض ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٣ - بُغْضُ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النوع الثاني: النفاق العملي: وهو عمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يُخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى ذلك، وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر، صار بسببه منافقًا خالصًا، والدليل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١).

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع، فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها، صار فيه خصلة من النفاق، فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير، وخصال شر، وخصال إيمان، وخصال

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (١٠٦) (٥٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك.

ومنه: التكاثر عن الصلاة مع الجماعة في المسجد؛ فإنه من صفات المنافقين، فالنفاق شر، وخطر جدًّا، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتخوفون من الوقوع فيه، قال ابن أبي مُلَيْكَةَ قَالَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»^(١).

الفرق بين النفاق الأكبر والنفاق الأصغر:

- ١- أن النفاق الأكبر يُخْرِجُ من الملة، والنفاق الأصغر لا يُخْرِجُ من الملة.
- ٢- أن النفاق الأكبر: اختلاف السر والعلانية في الاعتقاد، والنفاق الأصغر: اختلاف السر والعلانية في الأعمال دون الاعتقاد.
- ٣- أن النفاق الأكبر لا يصدر من مؤمن، وأما النفاق الأصغر فقد يصدر من المؤمن.
- ٤- أن النفاق الأكبر في الغالب لا يتوب صاحبه، ولو تاب، فقد اختلف في قبول توبته عند الحاكم. بخلاف النفاق الأصغر؛ فإن صاحبه قد يتوب إلى الله، فيتوب الله عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَثِيرًا مَا تَعَرَّضَ لِلْمُؤْمِنِ شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ وَقَدْ يَرُدُّ عَلَى قَلْبِهِ بَعْضُ مَا يُوجِبُ

(١) أخرجه البخاري معلقاً (١/ ١٣٥- مع الفتح) - كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يمحط عمله - وقال الحافظ: وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه لكنه أبهم العدد، وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولاً في كتاب الإيمان له. اهـ.

النِّفَاقَ، وَيَدْفَعُهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمُؤْمِنُ يُبْتَلَى بِوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَبَوَسَاوِسِ الْكُفْرِ الَّتِي يَضِيقُ بِهَا صَدْرُهُ، كَمَا قَالَتِ الصَّحَابَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَحَدَنَا لَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ مَا لَيْسَ يَحْرُجُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ. فَقَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: مَا يَتَعَاطَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَاسَةِ»^(٢) أَيُّ: حُصُولِ هَذَا الْوَسْوَاسِ مَعَ هَذِهِ الْكَرَاهَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ وَدَفْعِهِ عَنِ الْقَلْبِ هُوَ مِنَ صَرِيحِ الْإِيمَانِ) انتهى^(٣).

وأما أهل النفاق الأكبر، فقال الله فيهم: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]؛ أَي: إِلَى الْإِسْلَامِ فِي الْبَاطِنِ، وَقَالَ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوَنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ فِي الظَّاهِرِ؛ لِكَوْنِ ذَلِكَ لَا يُعْلَمُ إِذْ هُمْ دَائِمًا يُظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ)^(٤).



(١) أخرجه مسلم (٢٠٩) (١٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٢)، والنسائي (١٠٤٣٤)، وأحمد (١٠ / ٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨٢ / ٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٣٤-٤٣٥).

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

بيان حقيقة كل من: الجاهلية - الفسق -

الضلال - الردة: أقسامها، أحكامها



الجاهلية:

هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام؛ من الجهل بالله ورسله، وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب، والكبر والتجبر، وغير ذلك؛ نسبةً إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه، فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال خلاف

(١) قال ابن منظور: (جَهْلٌ: الْجَهْلُ: نَقِيضُ الْعِلْمِ، وَقَدْ جَهِلَهُ فَلَانٌ جَهْلًا وَجَهَالَةً، وَجَهْلٌ عَلَيْهِ. وَتَجَاهَلَ: أَظْهَرَ الْجَهْلَ؛ عَنْ سَيِّوَيْهِ. الْجَوْهَرِيُّ: تَجَاهَلَ أَرَى مِنْ نَفْسِهِ الْجَهْلَ وَلَيْسَ بِهِ، وَاسْتَجْهَلَهُ: عَدَّهُ جَاهِلًا وَاسْتَخَفَّهُ أَيْضًا. وَالتَّجْهِيلُ: أَنْ تُنْسَبَ إِلَى الْجَهْلِ، وَجَهْلٌ فَلَانٌ حَقٌّ فَلَانٌ وَجَهْلٌ فَلَانٌ عَلَيَّ وَجَهْلٌ بِهَذَا الْأَمْرِ. وَالجَهَالَةُ: أَنْ تَفْعَلَ فِعْلًا بغيرِ الْعِلْمِ. ابْنُ شُمَيْلٍ: إِنْ فَلَانًا لَجَاهِلٍ مِنْ فَلَانٍ أَيْ جَاهِلٌ بِهِ. وَرَجُلٌ جَاهِلٌ وَالْجَمْعُ جُهْلٌ وَجُهْلٌ وَجُهْلٌ وَجُهْلًا وَجُهْلَاءَ؛ عَنْ سَيِّوَيْهِ، قَالَ: شَبَّهَهُ بِفَعِيلٍ كَمَا شَبَّهُوا فَاعِلًا بِفَعُولٍ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي: قَالُوا جُهْلَاءَ كَمَا قَالُوا عُلَمَاءَ، حَمَلًا لَهُ عَلَى ضِدِّهِ. وَرَجُلٌ جَهُولٌ: كجَاهِلٍ، وَالْجَمْعُ جُهْلٌ وَجُهْلٌ). انظر: لسان العرب (١١/ ١٢٩)، وقال ابن فارس: (جَهْلٌ) الْجِيْمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَةُ وَخِلَافُ الطَّمَأْنِينَةِ. فَالْأَوَّلُ الْجَهْلُ نَقِيضُ الْعِلْمِ. وَيُقَالُ لِلْمَفَازَةِ الَّتِي لَا عِلْمَ بِهَا: مَجْهَلٌ). انظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٨٩)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧).

الحق عالماً بالحق، أو غير عالم، فهو جاهل أيضاً، فإذا تبين ذلك، فالناس قبل بعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا في جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل، وكذلك كل ما يخالف ما جاء به المرسلون، من يهودية ونصرانية، فهو جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة.

فأما بعد بعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم؛ فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام، فأما في زمان مطلق، فلا جاهلية بعد مبعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه لا تزال من أمتة طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة، والجاهلية المقيدة قد توجد في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص المسلمين؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَبُّعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهَا: الضُّخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»^(١)، وقال لأبي ذر: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(٢)، ونحو ذلك). انتهى^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم (٤٠) (١٦٦١) عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأَمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأَمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعَيَّنُوهُمْ».

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٥٦-٢٥٩).

وملخص ذلك: أن الجاهلية: نسبة إلى الجهل، وهو عدم العلم، وأنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الجاهلية العامة: وهي ما كان قبل مبعث الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد انتهت ببعثته.

القسم الثاني: الجاهلية الخاصة ببعض الدول، وبعض البلدان، وبعض الأشخاص: وهذه لا تزال باقية، وبهذا يتضح خطأ من يُعمِّمون الجاهلية في هذا الزمان، فيقولون: (جاهلية هذا القرن) أو (جاهلية القرن العشرين)، وما شابه ذلك، والصواب أن يُقال: (جاهلية بعض أهل هذا القرن، أو غالب أهل هذا القرن)؛ وأما التعميم، فلا يصح، ولا يجوز؛ لأنه ببعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زالت الجاهلية العامة.

الفسق؛

الفسق لغة: الخروج^(١)، والمراد به شرعاً: الخروج عن طاعة الله، وهو يشمل الخروج الكلي؛ فيقال للكافر: فاسق، والخروج الجزئي؛ فيقال للمؤمن المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب: فاسق.

فالفسق فسقان:

فسق ينقل عن الملة، وهو الكفر، فيسمَّى الكافر فاسقاً، فقد ذكر الله إبليسَ، فقال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وكان ذلك الفسق منه كُفْراً.

(١) انظر مادة (فسق) في: العين (٨٢/٥)، وتهذيب اللغة (٣١٥/٨)، والصحاح (١٥٤٣/٤)، ومقاييس اللغة (٥٠٢/٤)، ولسان العرب (٣٠٨/١٠).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ﴾، يريد الكفار، دلَّ على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

ويُسمَّى مرتكب الكبيرة من المسلمين: فاسقًا، ولم يُخرجه فسقه من الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال العلماء في تفسير الفسوق هنا: هو المعاصي^(١).

الضلال:

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، وهو ضد الهداية، قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥].

والضلالُ يطلق على عدة معان:

❖ فتارةً يُطلق على الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

❖ وتارةً يُطلق على الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

❖ وتارةً يُطلق على المخالفة التي هي دون الكفر؛ كما يقال: (الفرق الضالة)؛ أي: المخالفة.

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٤٦٩)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٠٠)، وزاد المسير (١/ ١٦٥)، وابن كثير (١/ ٥٤٤).

❖ وتارة يُطلق على الخطأ، ومنه قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَعَلْنَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

❖ وتارة يُطلق على النسيان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا فَتُزَكَّرَ بِإِحْدَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

❖ ويُطلق الضلال على الضياع والغيبة، ومنه: ضالة الإبل^(١).

الردة وأقسامها وأحكامها:

الردة لغة: الرجوع^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْدُّوْا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]؛ أي: لا ترجعوا.

والردة في الاصطلاح الشرعي هي: الكفر بعد الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

أقسامها: الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة، ترجع إلى أربعة أقسام، هي:

❖ الردة بالقول: كسب الله تعالى، أو رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ملائكته، أو أحد من رسله. أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من

(١) انظر: العين (٨/٧-١٠)، وتهذيب اللغة (١١/٣١٨)، والصحاح (٥/١٧٤٨-١٧٤٩)، ومقاييس اللغة (٣/٣٥٦-٣٥٧).

(٢) انظر: العين (٨/٧)، والصحاح (٢/٤٧٣)، وتاج العروس (٨/٩٠).

يدعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستعانة به فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستعاذة به في ذلك.

❖ **الردة بالفعل:** كالسجود للصنم والشجر، والحجر والقبور، والذبح لها. وإلقاء المصحف في المواطن القذرة، وعمل السحر، وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً حله.

❖ **الردة بالاعتقاد:** كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام، وأن الصلاة غير واجبة، ونحو ذلك مما أجمع على حله، أو حرمة، أو وجوبه إجماعاً قطعياً، ومثله لا يحمله.

❖ **الردة بالشك في شيء مما سبق:** كمن شك في تحريم الشرك، أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان.

❖ **الردة بالترك:** كمن ترك الصلاة متعمداً؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(١)، وغيره من الأدلة على كفر تارك الصلاة^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر أنواع الردة في: الكافي (١/ ٩١)، والمحضر (٢/ ١٦٧)، والمبدع (٩/ ١٧٠)، ومنهاج الطالبين (ص ١٣١).

وأحكامها التي تترتب عليها بعد ثبوتها هي:

❁ استتابة المرتد، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام، قبل منه ذلك، وترك.

❁ إذا أبى أن يتوب، وجب قتله؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

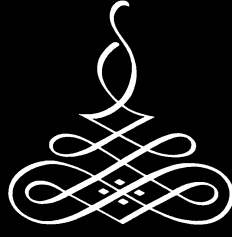
❁ يُمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته، فإن أسلم، فهو له؛ وإلا صار فيئاً لبيت المال، من حين قتله، أو موته على الردة. وقيل: من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

❁ انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه؛ فلا يرثهم، ولا يرثونه.

❁ إذا مات أو قُتل على رדתه، فإنه لا يُغسَّلُ، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُدفنُ في مقابر المسلمين، وإنما يُدفنُ في مقابر الكفار، أو يُؤارى في التراب في أي مكان غير مقابر المسلمين.



(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.



البَابُ الرَّابِعُ

أَقْوَالُ وَأَفْعَالُ تُنَافِي التَّوْحِيدَ أَوْ تُنْقِصُهُ

وفيه فصول :

- الفصل الأول: ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفنجان، والتنجيم... إلخ.
- الفصل الثاني: السحر والكهانة والعرافة.
- الفصل الثالث: تقديم القرابين والندور والهدايا للمزارات والقبور وتعظيمها.
- الفصل الرابع: تعظيم التماثيل والنصب التذكارية.
- الفصل الخامس: الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته.
- الفصل السادس: الحكم بغير ما أنزل الله.
- الفصل السابع: ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم.
- الفصل الثامن: الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية.
- الفصل التاسع: النظرة المادية للحياة.
- الفصل العاشر: التماائم والرقى.
- الفصل الحادي عشر: الحلف بغير الله والتوسل والاستعانة بالمخلوق دون الله.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

ادّعاء علم الغيب

في قراءة الكف والفتنجان وغيرهما



المراد بالغيب: ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلية والماضية، وما لا يرونه، وقد اختص الله تعالى بعلمه، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وحده، وقد يُطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦-٢٧]؛ أي: لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يُستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه الله عليه، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ولا يطلع غيرهما لدليل الحصر. فمن ادّعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل غير من استثناه الله من رسله، فهو كاذب كافر، سواء ادّعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفتنجان، أو الكهانة، أو السحر، أو التنجيم، أو غير ذلك، وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة، وعن أسباب بعض الأمراض، فيقولون: (فلان عمّل لك كذا وكذا فمرضت بسببه)، وإنما هذا لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهم عن طريق

عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتلبيس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْكُفَّانُ كَانَ يَكُونُ لِأَحَدِهِمُ الْقَرِينُ مِنَ الشَّيَاطِينِ، يُخْبِرُهُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ بِمَا يَسْتَرْقُوهُ مِنَ السَّمْعِ، وَكَانُوا يَخْلُطُونَ الصَّدَقَ بِالْكَذِبِ).... إلى أن قال: (وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ بِأَطْعَمَةٍ وَفَوَاكِهَ وَحَلَوَى وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَطِيرُ بِهِمُ الْجَنِّيُّ إِلَى مَكَّةَ أَوْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ أَوْ غَيْرِهِمَا) انتهى^(١).

وقد يكون إخبارهم عن ذلك عن طريق التنجيم، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وغير ذلك من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها. ويقولون: (من تزود بنجم كذا وكذا، حصل له كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا، حصل له كذا، ومن وُلد بنجم كذا وكذا، حصل له كذا؛ من السعد أو النحوس)؛ كما يعلن في بعض المجالات الساقطة من الخزعبلات حول البروج وما يجري فيها من الحظوظ. وقد يذهب بعض الجهال وضعاف الإيمان إلى هؤلاء المنجمين، فيسألهم عن مستقبل حياته وما يجري عليه فيه وعن زواجه وغير ذلك.

ومن ادَّعى علم الغيب أو صدَّق من يدَّعيه، فهو مشرك كافر؛ لأنه يدَّعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه، والنجوم مسخرة مخلوقة، ليس لها من الأمر شيء، ولا تدل على نحوس، ولا سعد، ولا موت، ولا حياة، وإنما هذا كله من أعمال الشياطين الذين يسترقون السمع.

(١) انظر: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ضمن مجموع الفتاوى (١١/٢٨٣ -

الْفَضِيلُ الثَّانِي

السَّحَرُ وَالْكَهَانَةُ وَالْعِرَافَةُ

كل هذه الأمور أعمال شيطانية مُحَرَّمَةٌ، تخل بالعقيدة أو تناقضها؛ لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية.

❁ فالسحر عبارة عما خفي ولَطَفَ سببُهُ^(١).

سُمِّي سِحْرًا؛ لأنه يحصل بأمور خفية، لا تدرك بالأبصار، وهو عزائم ورقى، وكلام يتكلم به، وأدوية وتدخينات، وله حقيقة^(٢).

ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، وتأثيره بإذن الله الكوني القَدَرِيِّ، وهو عمل شيطاني، وكثير منه لا يتوصل إليه إلا بالشرك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب، والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها؛ ولهذا قرنه الشارع بالشرك؛ حيث يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسُّحْرُ...»^(٣) الحديث، فهو داخل في الشرك من ناحيتين:

(١) انظر: مادة (سحر) في: تهذيب اللغة (٤/ ١٧٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٣٤٨)، والتعاريف (ص ١٩١).

(٢) انظر: المغني (٩/ ٢٨)، والكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ١٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكَ بِاللَّهِ، =

الناحية الأولى: ما فيه من استخدام الشياطين، والتعلق بهم، والتقرب إليهم بما يحبونه؛ ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الناحية الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي: نصيب.

وإذا كان كذلك، فلا شك أنه كفر وشرك يناقض العقيدة، ويجب قتل متعاطيه؛ كما قتله جماعة من أكابر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد تساهل الناس في شأن الساحر والسحر، ورُبما عدوا ذلك فناً من الفنون التي يفتخرون بها، ويمنحون أصحابها الجوائز والتشجيع، ويُقيمون النوادي والحفلات والمسابقات للسحرة، ويحضرها آلاف المتفرجين والمشجعين، أو يسمونه بالسيرك، وهذا من الجهل بالدين والتهاون بشأن العقيدة، وتمكين للعابثين.

الكهانة والعرافة:

وهما ادعاء علم الغيب، ومعرفة الأمور الغائبة؛ كالأخبار بما سيقع في الأرض، وما سيحصل، وأين مكان الشيء المفقود؛ وذلك عن طريق استخدام الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء؛ كما قال تعالى:

=وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّخْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ».

﴿ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴾ ﴿٣٣﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُنْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

وذلك أن الشيطان يسترق الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها في أذن الكاهن، ويكذب الكاهن مع هذه الكلمة مائة كذبة، فيصدقها الناس بسبب تلك الكلمة التي سُمعت من السماء، والله عَزَّوَجَلَّ هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك - بكهانة أو غيرها -، أو صدق من يدعي ذلك، فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه. والكهانة لا تخلو من الشرك؛ لأنها تَقَرُّبُ إلى الشياطين بما يحبون؛ فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).

ومما يجب التنبيه عليه والتنبيه له: أن السحرة والكهان والعرافين يعبثون بعقائد الناس؛ بحيث يظهرون بمظهر الأطباء، فيأمرون المرضى بالذبح لغير الله؛ بأن يذبحوا خروفاً صفته كذا وكذا، أو دجاجة، أو يكتبون لهم الطلاسم الشريكية، والتعاويد الشيطانية بصفة حروز يعلقونها في رقابهم، أو يضعونها في صناديقهم، أو في بيوتهم.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والدارمي (١١٣٦).

والبعض الآخر يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات، وأماكن الأشياء المفقودة؛ بحيث يأتيه الجهاال، فيسألونه عن الأشياء الضائعة، فيخبرهم بها، أو يحضرها لهم، بواسطة عملائه من الشياطين.

وبعضهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات، أو بمظهر الفنان؛ كدخول النار ولا تؤثر فيه، وضرب نفسه بالسلاح، أو وضع نفسه تحت عجلات السيارة، ولا تؤثر فيه، أو غير ذلك من الشعوذات، التي هي في حقيقتها سحر من عمل الشيطان، يجري على أيدي هؤلاء للفتنة. أو هي أمور تخيلية لا حقيقة لها؛ بل هي حيل خفية يتعاطونها أمام الأنظار؛ كعمل سحرة فرعون بالحبال والعصي.

قال شيخ الإسلام في مناظرته للسحرة البطائحية الأحمدية الرفاعية، قال -يعني شيخ البطائحية-: (وَرَفَعَ صَوْتَهُ: نَحْنُ لَنَا الْأَحْوَالُ وَكَذَا وَكَذَا. وَادَّعَى الْأَحْوَالَ الْخَارِقَةَ كَالنَّارِ وَغَيْرَهَا وَاخْتِصَاصَهُمْ بِهَا، وَأَتَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ تَسْلِيمَ الْحَالِ إِلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا)، قال شيخ الإسلام: (-وَرَفَعْتُ صَوْتِي وَغَضِبْتُ-: أَنَا أُخَاطَبُ كُلَّ أَحْمَدِيٍّ مِنْ مَشْرِقِ الْأَرْضِ إِلَى مَغْرِبِهَا، أَيُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي النَّارِ، فَأَنَا أَصْنَعُ مِثْلَ مَا تَصْنَعُونَ، وَمَنْ اخْتَرَقَ فَهُوَ مَغْلُوبٌ؛ وَرُبَّمَا قُلْتُ: فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ؛ وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ نَغْسِلَ جُسُومَنَا بِالْحُلِّ وَالْمَاءِ الْحَارِّ؛ فَسَأَلَنِي الْأَمْرَاءُ وَالنَّاسُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: لِأَنَّ لَهُمْ حِيلًا فِي الْإِتِّصَالِ بِالنَّارِ يَصْنَعُونَهَا مِنْ أَشْيَاءَ: مِنْ دُهْنِ الضَّفَادِعِ. وَقَشْرِ النَّارِنْجِ. وَحَجَرِ الطَّلَقِ. فَضَجَّ النَّاسُ

بَذَلِكَ فَأَخَذَ يُظْهِرُ الْقُدْرَةَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: أَنَا وَأَنْتَ نُلَفُّ فِي بَارِيَةٍ بَعْدَ أَنْ تُطْلَى
جُسُومُنَا بِالْكِبْرِيتِ. (فَقُلْتُ فَقُمْ؛ وَأَخَذْتَ أَكْرَرُ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامِ إِلَى ذَلِكَ فَمَدَّ
يَدَهُ يُظْهِرُ خَلْعَ الْقَمِيصِ فَقُلْتُ: لَا حَتَّى تَعْتَسِلَ فِي الْمَاءِ الْحَارِّ وَالْحُلَّ فَأَظْهَرَ
الْوَهْمَ عَلَى عَادَتِهِمْ فَقَالَ مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْأَمِيرَ فَلْيُخْضِرْ خَشَبًا أَوْ قَالَ حُزْمَةً
حَطَبَ. فَقُلْتُ هَذَا تَطْوِيلٌ وَتَفْرِيقٌ لِلْجَمْعِ؛ وَلَا يَخْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ؛ بَلْ قِنْدِيلٌ
يُوقَدُ وَأُذْخِلُ إَصْبَعِي وَإِصْبَعَكَ فِيهِ بَعْدَ الْغَسْلِ؛ وَمَنْ احْتَرَقَتْ إَصْبَعُهُ فَعَلَيْهِ
لَعْنَةُ اللَّهِ؛ أَوْ قُلْتُ: فَهُوَ مَغْلُوبٌ. فَلَمَّا قُلْتُ ذَلِكَ تَغَيَّرَ وَذَلَّ) انتهى^(١).

والمقصود منه بيان أن هؤلاء الدجالين يكذبون على الناس بمثل هذه
الحيل الخفية؛ كجرهم السيارة بشعرة، وإلقائه نفسه تحت عجلاتها، وإدخال
أسياخ الحديد في عينه، إلى غير ذلك من الشعوذات الشيطانية.



(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٤٦٥-٤٦٦).

الفصل الثالث

تقديم القرايين والنذور والهدايا

للمزارات والقبور وتعظيمها

لقد سَدَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل الطرق المفضية إلى الشرك، وحذَّر منها غاية التحذير - ومن ذلك: مسألة القبور -، وقد وضع الضوابط الواقية من عبادتها، والغلو في أصحابها، ومن ذلك:

❁ أنه قد حذَّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغلو في الأولياء والصالحين؛ لأن ذلك يؤدي إلى عبادتهم، فقال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»^(١)، وقال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

❁ وحذَّر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البناء على القبور؛ كما روى أبو الهياج الأسدي قال: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد (٣٤٧/١)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، والنسائي (٣٠٥٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، و٦٨٣٠، ومسلم (١٦٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٩).

❖ ونهى عن تخصيصها والبناء عليها، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجْصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»^(١).

❖ وحذر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة عند القبور، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرُحُ حَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحْدِثُونَ مَا صَنَعُوا»، قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَاكَ أَبْرَزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْجِدًا»^(٢).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»^(٣).

واتخاذها مساجد معناه: الصلاة عندها، وإن لم يبن مسجد عليها؛ فكل موضع قصد للصلاة فيه، فقد اتَّخَذَ مَسْجِدًا؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»^(٤)، فإذا بني عليها مسجد، فالأمر أشد.

(١) أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣، ٥٨١٥)، ومسلم (١٩) (٥٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٥٣٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنْدَبٌ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، بلفظ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي =

وقد خالف أكثر الناس هذه النواهي، وارتكبوا ما حذر منه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوقعوا بسبب ذلك في الشرك الأكبر؛ فبنوا على القبور مساجد وأضرحة ومقامات، وجعلوها مزارات تمارس عندها كل أنواع الشرك الأكبر؛ من الذبح لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وصرف النذور لهم، وغير ذلك.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومن جمع بين سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له؛ بحيث لا يجتمعان أبداً؛ فنهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله، ونهى عن إيقاد الشرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن تُتخذَ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

وأمر بتسويتها؛ كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»^(١).

=أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأَحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ يُحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً». واللفظ للبخاري.

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

وفي صحيحه أيضًا عن ثُمَامَةَ بْنِ شُفَيْيٍّ قَالَ: «كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتَوَفَّيْ صَاحِبُ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»^(١).

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه! ولا ريب أن في ذلك من المفساد ما يعجز العبد عن حصره).

ثم أخذ يذكر تلك المفساد، إلى أن قال: (ومنها: أن الذي شرعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور إنما هو تذكُر الآخرة، والإحسان إلى المזור بالدعاء له، والترحم عليه والاستغفار، وسؤال العافية له؛ فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤال حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك؛ فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت، ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له) انتهى^(٢).

وبهذا يتضح أن تقديم النذور والقرايين للمزارات شرك أكبر؛ سببه مخالفة هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحالة التي يجب أن تكون عليها القبور

(١) أخرجه مسلم (٩٢) (٩٦٨).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/٢١٤، ٢١٥، ٢١٧).

من عدم البناء عليها وإقامة المساجد عليها؛ لأنها لما بنيت عليها القباب، وأقيمت حولها المساجد والمزارات، ظن الجاهل أن المدفونين فيها ينفعون أو يضرّون، وأنهم يُغيثون من استغاث بهم، ويقضون حوائج من التجأ إليهم، فقدموا لهم النذور والقرايين؛ حتى صارت أوثاناً تُعبَدُ من دون الله، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»^(١)، وما دعا بهذا الدعاء إلا لأنه سيحصل شيء من ذلك، وقد حصل عند القبور في كثير من بلاد الإسلام، أما قبره فقد حماه الله ببركة دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان قد يحصل في مسجده شيء من المخالفات، من بعض الجاهل أو الخرافيين، لكنهم لا يقدرّون على الوصول إلى قبره؛ لأن قبره في بيته، وليس في المسجد، وهو محوط بالجدران؛ كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته^(٢):

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدُرَانِ



(١) أخرجه مالك في الموطأ (٨٥).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٣٥٢ / ٢).

الْفَضِيلُ الرَّابِعُ

في بيان حكم تعظيم التماثيل والنصب التذكارية



التماثيل جمع تمثال، وهو الصورة المجسمة على شكل إنسان أو حيوان، أو غيرها مما فيه روح^(١)، والنصب في الأصل: العَلَمُ، وأحجار كان المشركون يذبحون عندها، والنُّصْبُ التذكارية: تماثيل يُقيمونها في الميادين ونحوها؛ لإحياء ذكرى زعيم أو مُعَظَّم.

ولقد حذّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تصوير ذوات الأرواح، ولا سيما تصوير المعظّمين من البشر كالعلماء والملوك والعُبَّاد والقادة والرؤساء، سواء كان هذا التصوير عن طريق رسم الصورة على لوحة أو ورقة، أو جدار أو ثوب، أو عن طريق الالتقاط بالآلة الضوئية المعروفة في هذا الزمان، أو عن طريق النحت، وبناء الصورة على هيئة التمثال، ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تعليق الصور على الجدران ونحوها، وعن نصب التماثيل، ومنها: النصب التذكارية؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك؛ فإن أول شرك حدث في الأرض كان بسبب التصوير ونصب الصور، وذلك أنه كان في قوم نوح رجال صالحون، فلما ماتوا، حزن عليهم قومهم، فأوحى إليهم الشيطان «أَنْ أَنْصِبُوا إِلَيَّ مَجَالِسِهِمْ

(١) انظر: لسان العرب (٣٤٩/١٢)، والمعجم الوسيط (٥٢٦/١)، وتاج العروس (٥٢٤/٣٢).

الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَيْكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»^(١).

ولما بعث الله نبيه نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ ينهى عن هذا الشرك الذي حصل بسبب تلك الصور التي نصبت، امتنع قومه من قبول دعوته، وأصروا على عبادة تلك الصور المنصوبة التي تحولت إلى أوثان: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وهذه أسماء الرجال الذين صورت لهم تلك الصور على أشكالهم؛ إحياء لذكرياتهم، وتعظيمًا لهم.

فانظر ما آل إليه الأمر بسبب هذه الأنصاب التذكارية من الشرك بالله، ومعاندة رسله! مما سبب إهلاكهم بالطوفان، ومقتهم عند الله وعند خلقه؛ مما يدل على خطورة التصوير ونصب الصور، ولهذا لعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصورين^(٢)، وأخبر أنهم أشدُّ الناس عذابًا يوم القيامة^(٣)، وأمر بطمس الصور^(٤)،

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨٦، ٢٢٣٨، ٥٣٤٧، ٥٩٦٢) عن عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكَلَ الرَّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَكَسْبِ الْبَغِيِّ، وَلَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ».

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ».

(٤) أخرجه مسلم (٩٦٩) عن أَبِي الهياج الأسدي قال: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

وأخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة^(١)، كل ذلك من أجل مفسدها، وشدة مخاطرها على الأمة في عقيدتها، فإنَّ أول شرك حدث في الأرض كان بسبب نصب الصُور، وسواء كان هذا النصب للصور والتمثيل في المجالس، أو الميادين أو الحدائق؛ فإنه محرم شرعاً؛ لأنه وسيلة إلى الشرك، وفساد العقيدة. وإذا كان الكفار اليوم يعملون هذا العمل؛ لأنهم ليس لهم عقيدة يحافظون عليها؛ فإنه لا يجوز للمسلمين أن يتشبهوا بهم ويشاركوهم في هذا العمل؛ حفاظاً على عقيدتهم التي هي مصدر قوتهم وسعادتهم. ولا يقال: (إن الناس تجاوزوا هذه المرحلة، وعرفوا التوحيد والشرك)؛ لأن الشيطان ينظر للجيل المستقبل حينما يظهر فيهم الجهل؛ كما عمل مع قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما مات علمائهم، وفشا فيهم الجهل، ولأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ كما قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، فخاف على نفسه الفتنة، قال بعض السلف: (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟)^(٢).



-
- (١) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٨٣) (٢١٠٦) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا طَلْحَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ تُمَثِّلُ».
- (٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/١٧)، والدر المنثور (٤٦/٥).

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

في بيان حكم الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته

الاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام، وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۚ لَا تَعْذِرُوا ۚ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، هذه الآية تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحد من هذه الأمور، فهو مستهزئ بجميعها.

والذي حصل من هؤلاء المنافقين أنهم استهزؤوا بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فنزلت الآية (١). فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم، فالذين يستخفون بتوحيد الله تعالى، ويعظمون دعاء غيره من الأموات، وإذا أمروا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧٢ / ١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٩ / ٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ - : «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ، يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ فَقَالَ لَهُ عَوْفُ ابْنِ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُتَأَفِّقٌ، لِأَخْبَرَنَّا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ».

بالتوحيد، ومُهو عن الشرك، استخفُّوا بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ
 إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي بِعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ [٤١] إِنَّ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴿[الفرقان: ٤١-٤٢]، فاستهزؤوا
 بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يعييون
 الأنبياء، ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون، إذا دعوهم إلى التوحيد؛ لما
 في أنفسهم من تعظيم الشرك. وهكذا تجد من فيه شبه منهم؛ إذا رأى من يدعو
 إلى التوحيد، استهزأ بذلك؛ لما عنده من الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ
 النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۝﴾ [البقرة: ١٦٥]، فمن
 أحبَّ مخلوقًا مثل ما يُحِبُّ الله، فهو مشرك.

ويجبُ الفرق بين الحب في الله، والحب مع الله، فهؤلاء الذين اتخذوا
 القبورَ أوثانًا؛ تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله وعبادته، ويعظمون
 ما اتخذوه من دون الله شفعاء، ويحلفُ أحدهم بالله اليمين الغموس كاذبًا،
 ولا يجترئ أن يحلف بشيخه كاذبًا، وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم
 يرى أن استغاثته بالشيخ -إما عند قبره، أو غير قبره- أنفع له من أن
 يدعو الله في المسجد عند السَّحَر! ويستهزئ بمن يعدل عن طريقته إلى
 التوحيد، وكثير منهم يخربون المساجد، ويعمرون المشاهد، فهل هذا إلا من

= قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِسَعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ
 لَتَنكَبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضَ وَلَعَبُ﴾، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايِنِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا
 يَزِيدُهُ عَلَيْهِ».

استخفافهم بالله وبآياته ورسوله، وتعظيمهم للشرك؟! وهذا كثير وقوعه في القبورين اليوم.

والاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجَبْنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ»، أو نحو ذلك من أقوال المستهزين؛ كقول بعضهم: (دينكم هذا دينٌ خامس)، وقول الآخر: (دينكم أخرق)، وقول الآخر - إذا رأى الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر -: (جاءكم أهل الدين)، من باب السُّخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يُحصى إلا بكلفة؛ مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح، وهو البحر الذي لا ساحل له؛ مثل: الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومدّ الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، أو سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو عند الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومثل هذا ما يقوله بعضهم: (إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَصْلُحُ لِلْقُرُونِ الْعَشْرِينَ؛ وَإِنَّمَا يَصْلُحُ لِلْقُرُونِ الْوَسْطَى، وَإِنَّهُ تَأَخَّرَ وَرَجَعِيٌّ، وَإِنْ فِيهِ قَسْوَةٌ وَوَحْشِيَّةٌ فِي عَقُوبَاتِ الْحُدُودِ وَالتَّعَاذِيرِ، وَإِنَّهُ ظَلَمَ الْمَرْأَةَ حَقُوقَهَا؛ حَيْثُ أَبَاحَ الطَّلَاقَ، وَتَعَدَّدَ الزَّوْجَاتِ)، وقولهم: (الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام)، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد، ويُنكر عبادة القبور والأضرحة: (هذا متطرف)، أو: (يُريد أن يفرق جماعة المسلمين)، أو:

(هذا وهّابي)، أو: (مذهب خامس)، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله، واستهزاء بالعقيدة الصحيحة - ولا حول ولا قوة إلا بالله -، ومن ذلك: استهزاؤهم بمن تمسك بسنة من سنن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون: (الدين ليس في الشَّعرِ)؛ استهزاءً بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الألفاظ الوقحة.



الْفَصْلُ السَّالِسُ الحكم بغير ما أنزل الله

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته: الخضوع لحكمه والرضا بشرعه، والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله عند الاختلاف في الأقوال، وفي العقائد، وفي الخصومات، وفي الدماء والأموال، وسائر الحقوق، فإنَّ الله هو الحكم، وإليه الحُكْم، فيجبُ على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، ويجب على الرعية أن يتحاكموا إلى ما أنزل الله في كتابه، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى في حق الولاة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، وقال في حق الرعية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ثم بين أنه لا يجتمع الإيمان مع التحاكم إلى غير ما أنزل الله، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فنفى سبحانه

-نفيًا مؤكدًا بالقسم- الإيمان عمن لم يتحاكم إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرضى بحكمه، ويسلم له؛ كما أنه حكم بكُفر الولاة الذين لا يحكمون بما أنزل الله، وبظلمهم وفسقهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ولابد من الحكم بما أنزل الله، والتحاكم إليه في جميع موارد النزاع في الأقوال الاجتهادية بين العلماء، فلا يقبل منها إلا ما دلّ عليه الكتاب والسنة؛ من غير تعصب لمذهب، ولا تحييز لإمام، وفي المرافعات والخصومات في سائر الحقوق؛ لا في الأحوال الشخصية فقط، كما في بعض الدول التي تنتسب إلى الإسلام؛ فإن الإسلام كُلُّ لا يتجزأ، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقال تعالى: ﴿أَفْتَوْمُونَنِي بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

وكذلك يجب على أتباع المذاهب والمناهج المعاصرة أن يردوا أقوال أئمتهم إلى الكتاب والسنة، فما وافقهما، أخذوا به، وما خالفهما، ردوه دون تعصب أو تحييز؛ ولا سيما في أمور العقيدة، فإن الأئمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ يوصون بذلك، وهذا مذهبهم جميعًا، فمن خالف ذلك، فليس متبعًا لهم - وإن انتسب إليهم-، وهو ممن قال الله فيهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١].

فليست الآية خاصة بالنصارى، بل تتناول كل من فعل مثل فعلهم، فمن خالف ما أمر الله به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك؛ اتباعاً لما يهواه ويريده، فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن؛ فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفي إيمانهم، فإنَّ (يَزْعُمُونَ) إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب؛ لمخالفته لموجبها، وعمله بما ينافيها، يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد - كما في آية البقرة -، فإذا لم يحصل هذا الركن؛ لم يكن موحداً، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال، وتفسد بعده؛ كما أن ذلك بين في قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ونفي الإيمان عمن لم يحكم بما أنزل الله يدل على أن تحكيم شرع الله إيمان وعقيدة، وعبادة لله، يجب أن يدين بها المسلم، فلا يُحَكِّمُ شرع الله من أجل أن تحكيمه أصلح للناس وأضبط للأمن فقط؛ فإنَّ بعض الناس يركز على هذا الجانب، وينسى الجانب الأول، والله سبحانه قد عاب على من يُحَكِّمُ شرع الله لأجل مصلحة نفسه، من دون تعبد لله تعالى بذلك، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٥٨) وَإِنْ يَكُنْ

لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٨﴾ [النور: ٤٨-٤٩]، فهم لا يهتمون إلا بما يهون، وما خالف هواهم، أعرضوا عنه؛ لأنهم لا يتعبدون لله بالتحاكم إلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حكم من حكم بغير ما أنزل الله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. في هذه الآية الكريمة: أن الحكم بغير ما أنزل الله كفر، وهذا الكفر تارة يكون كفراً أكبر ينقل عن الملة، وتارة يكون كفراً أصغر لا يُخرج من الملة، وذلك بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان بحكم الله، واعتقد أن غيره من القوانين والنظم الوضعية أحسن منه أو مساو له، أو أنه لا يصلح لهذا الزمان، أو أراد بالحكم بغير ما أنزل الله استرضاء الكفار والمنافقين، فهذا كفر أكبر.

وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاصٍ، ويُسمى كافراً كفراً أصغر. وإن جهل حكم الله فيها - مع بذل جهده، واستفراغ وسعه في معرفة الحكم -، وأخطأه، فهذا مُخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور. وهذا في الحكم في القضية الخاصة.

وأما الحكم في القضايا العامة، فإنه يختلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ الْحَاكِمَ إِذَا كَانَ دِينًا لِكِنَّةِ حَكَمَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا لِكِنَّةِ حَكَمَ بِخِلَافِ الْحَقِّ الَّذِي يَعْلَمُهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَإِذَا حَكَمَ

بِلَا عَدْلِ وَلَا عِلْمٍ كَانَ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَهَذَا إِذَا حَكَمَ فِي قَضِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ لِشَخْصٍ.

وَأَمَّا إِذَا حَكَمَ حُكْمًا عَامًّا فِي دِينِ الْمُسْلِمِينَ فَجَعَلَ الْحَقَّ بَاطِلًا وَالْبَاطِلَ حَقًّا وَالسُّنَّةَ بِدْعَةً وَالْبِدْعَةَ سُنَّةً وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا وَنَهَى عَمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَأَمَرَ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ: فَهَذَا لَوْ أَنَّ آخَرَ. يَحْكُمُ فِيهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَإِلَهُ الْمُرْسَلِينَ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ الَّذِي ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الفصل: ٧٠]، ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨] (١).

وقال -أيضاً-: (وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْتَقِدْ وَجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَهُوَ كَافِرٌ، فَمَنْ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَأْمُرُ لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ هُمْ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا الْمُطَاعُونَ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَحُوزُ الْحُكْمَ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا ذَلِكَ، بَلِ اسْتَحَلُّوا أَنْ يَحْكُمُوا بِخِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُمْ كُفَّارٌ، وَإِلَّا كَانُوا جَهَالًا بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي دِينِهَا مَا رَأَاهُ أَكْبَرُهُمْ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَسَبِّبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ يَحْكُمُونَ بِعَادَاتِهِمُ الَّتِي لَمْ يُنْزِلْهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَسَوَالِفِ الْبَادِيَةِ، وَكَأَوَامِرِ الْمُطَاعِينَ فِيهِمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي الْحُكْمُ بِهِ دُونَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ كَثِيرًا

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٨٨/٣٥).

مِنَ النَّاسِ أَسْلَمُوا، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ لَهُمْ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا الْمُطَاعُونَ، فَهَؤُلَاءِ إِذَا عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحُكْمُ إِلَّا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَمْ يَلْتَزِمُوا ذَلِكَ، بَلِ اسْتَحَلُّوا أَنْ يَحْكُمُوا بِخِلَافِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُمْ كُفَّارٌ، وَإِلَّا كَانُوا جُهَّالًا، كَمَنْ تَقَدَّمَ أَمْرُهُمْ) انتهى^(١).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الذي قيل فيه: إنه كفر دون كفر، إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاصٍ، وأنَّ حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها. أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضع، فهو كُفْرٌ، وإن قالوا: أخطأنا وحكمُ الشرع أعدل؛ فهذا كفر ناقل عن الملة)^(٢).

ففرَّقَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الْحُكْمِ الْجُزْئِيِّ الَّذِي لَا يَتَكَرَّرُ، وَبَيْنَ الْحُكْمِ الْعَامِ الَّذِي هُوَ الْمَرْجِعُ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ، أَوْ غَالِبِهَا، وَقَرَّرَ أَنَّ هَذَا الْكُفْرَ نَاقِلٌ عَنِ الْمِلَّةِ مُطْلَقًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ نَحْيِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَجَعَلَ الْقَانُونُ الْوَضْعِي بَدِيلًا مِنْهَا، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَرَى أَنَّ الْقَانُونِ أَحْسَنُ وَأَصْلَحُ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ كُفْرٌ أَكْبَرُ، يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَيُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ.



(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ١٣٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢/ ٢٨٠).

الْفَضْلُ السَّابِعُ

ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم

تشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم، والتي تفصل النزاع بينهم، وتُنهي الخصومات حق الله تعالى رب الناس، وخالق الخلق: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وهو الذي يعلم ما يصلح عبادته؛ فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم يشرع لهم، وبحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه، والمصلحة في ذلك عائدة إليهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الشورى: ١٠].

واستنكر سبحانه أن يتخذ العباد مُشرِّعًا غيره، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَكُؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فمن قبل تشريعًا غير تشريع الله؛ فقد أشرك بالله تعالى، وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات، فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢) وما لم يشرعه الله، ولا رسوله في السياسة والحكم بين

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٢).

الناس، فهو حكم الطاغوت، وحكم الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وكذلك التحليل والتحرير حق لله تعالى، لا يجوز لأحد أن يشاركه فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، فجعل سبحانه طاعة الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرم الله شركاً به سبحانه، وكذلك من أطاع العلماء والأمرأ في تحرير ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله؛ لقول الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا رسول الله، إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ قَالَ: «أَلَيْسَ يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟» قَالَ: بَلَى قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»^(١).

فصارت طاعتهم في التحليل والتحرير من دون الله عبادة لهم وشركاً، وهو شرك أكبر يُنافي التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن من مدلولها: أن التحليل والتحرير حق لله تعالى، وإذا كان هذا فيمن أطاع العلماء والعُباد في التحليل والتحرير الذي يخالف شرع الله، وهو يعلم هذه

(١) سبق تخريجه (ص ٥٨).

المخالفة، مع أنهم أقرب إلى العلم والدين، وقد يكونُ خطؤهم عن اجتهاد لم يصيبوا فيه الحق، وهم مأجورون عليه، فكيفَ بمن يُطيعُ أحكام القوانين الوضعية التي هي من صنع الكفار والملحدين، يجلبها إلى بلاد المسلمين، ويحكم بها بينهم؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله!

إنَّ هذا قد اتخذ الكفار أربابًا من دون الله؛ يُشَرِّعونَ له الأحكام، ويبيحونَ له الحرام، ويحكمون بين الأنام.



الفصل الثامن

حكم الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب الجاهلية



❁ الانتماء إلى المذاهب الإلحادية كالشيوعية، والعلمانية، والرأسمالية، وغيرها من مذاهب الكفر ردة عن دين الإسلام، فإن كان الممتعي إلى تلك المذاهب يدعي الإسلام، فهذا من النفاق الأكبر، فإن المنافقين ينتمون إلى الإسلام في الظاهر، وهم مع الكفار في الباطن؛ كما قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

فهؤلاء المنافقون المخادعون؛ لكل منهم وجهان: وجهٌ يلقي به المؤمنون، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمون، والآخر يُترجم عن سرّه المكنون: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾، قد أعرضوا عن الكتاب والسنة؛ استهزاءً بأهلها واستحقاراً، وأبوا أن ينقادوا لحكم الوحيين؛ فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا

أَشْرًا وَاسْتِكْبَارًا، فَتَرَاهُمْ أَبَدًا بِالْمَتَمَسِّكِينَ بِصَرِيحِ الْوَحْيِ يَسْتَهْزِئُونَ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقد أمر الله بالانتماء إلى المؤمنين: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وهذه المذاهب الإلحادية مذاهب متناحرة؛ لأنها مؤسسة على الباطل، فالشيوعية تنكر وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتحارب الأديان السماوية، ومن يرضى لعقله أن يعيش بلا عقيدة، وينكر البدهيات العقلية اليقينية؛ فيكون مُلغياً لعقله، والعلمانية تنكر الأديان، وتعتمد على المادية التي لا موجه لها، ولا غاية لها في هذه الحياة، إلا الحياة البهيمية! والرأسمالية همها جمع المال من أي وجه، ولا تتقيد بحلال ولا حرام، ولا عطف ولا شفقة على الفقراء والمساكين، وقوام اقتصادها على الربا الذي هو محاربة لله ولرسوله؛ والذي هو دمار الدول والأفراد، وامتصاص دماء الشعوب الفقيرة، وأي عاقل -فضلاً عما فيه ذرة من إيمان- يرضى أن يعيش على هذه المذاهب، بلا عقل ولا دين، ولا غاية صحيحة من حياته يهدف إليها، ويُناضل من أجلها؟! وإنما غزت هذه المذاهب بلاد المسلمين لما غاب عن أكثريتها الدين الصحيح، وتربت على الضياع وعاشت على التبعية.

❁ والانتماء للأحزاب الجاهلية، والقوميات العنصرية هو الآخر كُفْرٌ وَرَدَّةٌ عن دين الإسلام؛ لأنَّ الإسلام يرفض العصبية، والنعرات الجاهلية، يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ويقول النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»^(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»^(٢)، «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»^(٣).

وهذه الحزبيات تفرق المسلمين، والله قد أمر بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التفرق والاختلاف، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران ١٠٣].

إن الله سبحانه يريد منا أن نكون مع حزب واحد، هم حزبُ الله المفلحون؛ ولكن العالم الإسلامي أصبح -بعدما غزته أوروبا سياسيًا وثقافيًا- يخضع لهذه العصببيات الدموية، والجنسية، والوطنية، ويؤمن بها كقضية علمية وحقيقية مقررة، وواقع لا مفرَّ منه، وأصبحت شعوبه تندفع اندفاعًا غريبًا إلى إحياء هذه العصببيات التي أماتها الإسلام، والتغني بها وإحياء شعائرها، والافتخار بعهدتها الذي تقدم على الإسلام، وهو الذي

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢١) من حديث جابر بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وأحمد (٤٥٦/١٦) من حديث

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٤٧٤/٣٨).

يُلْحَقُ الْإِسْلَامَ عَلَى تَسْمِيَّتِهِ بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْخُرُوجِ عَنْهَا، وَحَثَّهِمْ عَلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ.

وَالطَّبِيعِيُّ مِنَ الْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَذْكُرَ جَاهِلِيَّةً -تَقَادِمَ عَهْدُهَا أَوْ قَارِبَ-، إِلَّا بِمَقْتٍ وَكَرَاهِيَةٍ وَامْتِعَاضٍ وَاقْشَعْرَارٍ، وَهَلْ يَذْكُرُ السَّجِينَ الْمَعَذِبَ الَّذِي يُطْلَقُ سِرَاحَهُ أَيَّامَ اعْتِقَالِهِ وَتَعْذِيبِهِ وَامْتِهَانِهِ؛ إِلَّا وَعَرَّتْهُ قَشْعَرِيرَةٌ؟ وَهَلْ يَذْكُرُ الْبَرِيءَ مِنْ عِلَّةٍ شَدِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَشْرَفَ مِنْهَا عَلَى الْمَوْتِ أَيَّامَ سُقْمِهِ، إِلَّا وَانْكَسَفَ بِأَلُّهُ وَانْتَقَعَ لَوْنُهُ؟ وَالْوَاجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْحَزْبِيَّاتِ عَذَابٌ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْ شَرْعِهِ، وَتَنَكَرَ لِدِينِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ أَفْقَادُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا لَمْ تَحْكُمُوا أَيْمَانَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ»^(١).

إِنَّ التَّعَصُّبَ لِلْحَزْبِيَّاتِ يَسَبِّبُ رَفْضَ الْحَقِّ الَّذِي مَعَ الْآخَرِينَ؛ كَحَالِ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ. وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]. وَكَحَالِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، الَّذِينَ رَفَضُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تَعَصَّبًا لِمَا عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠].

وَيُرِيدُ أَصْحَابُ هَذِهِ الْحَزْبِيَّاتِ أَنْ يَجْعَلُوهَا بَدِيلَةً عَنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الْفَضْلُ التَّاسِعُ

النظرية المادية للحياة ومفاسد هذه النظرية



هناك نظرتان للحياة: نظرة ماديّة للحياة، ونظرة صحيحة، ولكل من النظرتين آثارها:

❖ فالنظرة الماديّة للحياة معناها:

أن يكون تفكير الإنسان مقصوراً على تحصيل ملذاته العاجلة، ويكون عمله محصوراً في نطاق ذلك، فلا يتجاوز تفكيره ما وراء ذلك من العواقب، ولا يعمل له، ولا يهتم بشأنه، ولا يعلم أن الله جعل هذه الحياة الدنيا مزرعة للآخرة، فجعل الدنيا دارَ عمل، وجعل الآخرة دار جزاء، فمن استغل دنياه بالعمل الصالح، ربح الدارين، ومن ضيّع دنياه، ضاعت آخرته: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

فالله لم يخلق هذه الدنيا عبثاً، بل خلقها لحكمة عظيمة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

أوجد سبحانه في هذه الحياة - من المتع العاجلة، والزينة الظاهرة من الأموال والأولاد، والجاه والسلطان، وسائر المستلذات - ما لا يعلمه إلا الله، فمن الناس - وهم الأكثر - من قصر نظره على ظاهرها ومفاتها، ومتّع نفسه

بها، ولم يتأمل في سرها، فانشغل بتحصيلها وجمعها والتمتع بها عن العمل لما بعدها؛ بل ربما أنكر أن يكون هناك حياة غيرها؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

وقد توعد الله تعالى مَنْ هذه نظرته للحياة؛ فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وهذا الوعيد يشمل أصحاب هذه النظرة؛ سواء كانوا من الذين يعملون عمل الآخرة؛ يريدون به الحياة الدنيا - كالمنافقين والمرائين بأعمالهم -، أو كانوا من الكُفَّار الذين لا يؤمنون ببعث ولا حساب - كحال أهل الجاهلية والمذاهب الهدامة من رأسمالية وشيوعية، وعلمانية إلحادية -، وأولئك لم يعرفوا قدر الحياة، ولا تعدو نظرهم لها أن تكون كنزرة البهائم، بل هم أضل سبيلاً؛ لأنهم ألغوا عقولهم، وسخروا طاقاتهم، وضيعوا أوقاتهم فيما لا يبقى لهم، ولا يبقون له، ولم يعملوا لمصيرهم الذي ينتظرهم، ولا بُدَّ لهم منه.

والبهائم ليس لها مصيرٌ ينتظرها، وليس لها عقول تفكر بها، بخلاف أولئك، ولهذا يقول تعالى فيها: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقد وصف الله أهل هذه النظرة بعدم العلم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿[الروم: ٦-٧].

فهم وإن كانوا أهل خبرة في المخترعات والصناعات؛ فهم جُهَّال، لا يستحقون أن يُوصَفوا بالعلم؛ لأن علمهم لم يتجاوز ظاهر الحياة الدنيا، وهذا علم ناقص، لا يستحق أصحابه أن يطلق عليهم هذا الوصف الشريف، فيقال: العلماء، وإنما يطلق هذا على أهل معرفة الله وخشيته؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ومن النظرة المادية للحياة الدنيا: ما ذكره الله في قصة قارون، وما آتاه الله من الكنوز: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، فتمنوا مثله، وغبطوه، ووصفوه بالحظ العظيم؛ بناءً على نظرهم المادية، وهذا كما هو الحال الآن في الدول الكافرة، وما عندها من تقدّم صناعي واقتصادي، فإنَّ ضعافَ الإيمان من المسلمين ينظرون إليهم نظرة إعجاب، دون نظر إلى ما هم عليه من الكفر، وما ينتظرهم من سوء المصير، فتبعثهم هذه النظرة الخاطئة إلى تعظيم الكفار واحترامهم في نفوسهم، والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم السيئة، ولم يقلدوهم في الجد وإعداد القوة والشيء النافع من المخترعات والصناعات؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

❁ النظرة الثانية للحياة: النظرة الصحيحة:

وهي: أن يعتبر الإنسان ما في هذه الحياة من مال وسلطان وقوى مادية وسيلةً يُستعان بها لعمل الآخرة.

فالدنيا في الحقيقة لا تُذمُّ لذاتها، وإنما يتوجه المدح والذمُّ إلى فعل العبد فيها، فهي قنطرة ومعبر للآخرة، ومنها زاد الجنة، وخيرُ عيش يناله أهل الجنة إنما حصل لهم بما زرعوه في الدنيا؛ فهي دار الجهاد، والصلاة والصيام، والإنفاق في سبيل الله، ومضمار التسابق إلى الخيرات.

يقول الله تعالى لأهل الجنة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]؛ يعني: الدنيا.



الْفَضِيلُ الْعَاشِرُ في الرقى والتمايم



الرقى:

جمع رُقِية، وهي: العُوْدَةُ التي يُرَقَى بها صاحبُ الآفة كالحُمَى والصَّرْع، وغير ذلك من الآفات، ويُسمونها العزائم^(١)، وهي على نوعين:

النوع الأول: ما كان خالياً من الشُّرك؛ بأن يُقرأ على المريض شيء من القرآن، أو يُعوّذ بأسماء الله وصفاته؛ فهذا مُباح؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رَقَى، وأمر بالرقية، وأجازها، فعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نَرَقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^(٢).

قال السيوطي: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أن تكون بكلام الله، أو بأسماء الله وصفاته.

(١) يقال للرقية: عزيمة، وجمعها عزائم، تقول: عزم الراقي كضرب، وعزم تعزيباً، إذا قرأ العزيمة والرقية، وأصل العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر، تقول: عزمت الأمر، وعلى الأمر، واعتزمت، واعتزمت عليه. قال الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (١/٥٦٥): (والعزيمة: تعويد، كأنه تصوّر أنك قد عقدت بها على الشيطان أن يمضي إرادته فيك. وجمعها: العزائم). وانظر: العين (١/٣٦٣)، والمحكم لابن سيده (١/٥٣٣)، والمخصص (٤/٢١)، ولسان العرب (١٢/٤٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٦٤) (٢٢٠٠) من حديث عوف ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأن تكون باللسان العربي، وما يُعرفُ معناه.

وأن يُعتَقَدَ أن الرقية لا تؤثر بذاتها؛ بل بتقدير الله تعالى^(١).

وكيفيتها: أن يُقرأ وينفث على المريض، أو يقرأ في ماءٍ، ويُسْقَاهُ

المريض؛ كما جاء في حديث ثابت بن قيس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

النوع الثاني: ما لم يخلُ من الشُّرك: وهي الرقى التي يُستعانُ فيها بغير

الله - من دعاء غير الله، والاستغاثة والاستعاذة به -؛ كالرقى بأسماء الجن، أو بأسماء الملائكة والأنبياء والصالحين؛ فهذا دعاء لغير الله، وهو شركٌ أكبر. أو يكون بغير اللسان العربي، أو بما لا يُعرف معناه؛ لأنه يُحْشَى أن يدخلها كفر أو شرك، ولا يُعلمُ عنه؛ فهذا النوع من الرقية ممنوع.

التمائم:

وهي جمع تيممة، وهي: ما يعلق بأعناق الصبيان لدفع العين، وقد يعلق

على الكبار من الرجال والنساء، وهو على نوعين:

النوع الأول من التمام: ما كان من القرآن؛ بأن يكتب آيات من

القرآن، أو من أسماء الله وصفاته، ويعلقها للاستشفاء بها؛ فهذا النوع قد

اختلف فيه العلماء في حكم تعليقه على قولين:

(١) انظر: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد (ص ١٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٥) عَنْ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: ابْنُ صَالِحٍ: مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ

ابْنِ ثَابِتٍ بْنُ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى

ثَابِتٍ بْنِ قَيْسٍ - قَالَ: أَحْمَدُ وَهُوَ مَرِيضٌ - فَقَالَ: اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ ثَابِتٍ بْنِ

قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ، ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ».

القول الأول: الجواز، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو ظاهر ما روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبه قال أبو جعفر الباقر، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وحملوا الحديث الوارد في المنع من تعليق التمايم على التمايم التي فيها شرك.

القول الثاني: المنع من ذلك، وهو قول ابن مسعود وابن عباس، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر، وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ»^(١).

والتولة: شيء يصنعونه، يزعمون أنه يجب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وهذا هو الصحيح؛ لوجوه ثلاثة:

الأول: عموم النهي، ولا تخصيص للعموم.

الثاني: سد الذريعة؛ فإنها تفضي إلى تعليق ما ليس مباحًا.

الثالث: أنه إذا علق شيئًا من القرآن، فقد يمتنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك.

النوع الثاني من التمايم التي تعلق على الأشخاص: ما كان من غير القرآن، كالخرز والعظام والودع والخيوط والنعال والمسامير، وأسماء

(١) أخرجه أحمد (٣٨١/١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٧٦)، وابن حبان (٣٦٠/٧)، والحاكم في المستدرک (٤١٨/٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

الشياطين والجن والطلاسم، فهذا محرّم قطعاً، وهو من الشرك؛ لأنه تعلق على غير الله سبحانه وأسمائه وصفاته وآياته، وفي الحديث: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ»^(١)؛ أي: وكلّه الله إلى ذلك الشيء الذي تعلّقه، فمن تعلّق بالله، والتجأ إليه، وفوّض أمره إليه، كفاه، وقرب إليه كل بعيد، ويسّر له كلّ عسير. ومن تعلّق بغيره من المخلوقين والتّمائم والأدوية والقبور، وكله الله إلى ذلك الذي لا يغني عنه شيئاً، ولا يملك له ضرّاً ولا نفعاً، فخرس عقيدته، وانقطعت صلته بربه، وخذله الله.

والواجب على المسلم: المحافظة على عقيدته مما يُفسدها أو يُخلّ بها، فلا يتعاطى ما لا يجوز من الأدوية، ولا يذهب إلى المخرفين والمشعوذين ليتعالج عندهم من الأمراض؛ لأنهم يُمرضون قلبه وعقيدته، ومن توكل على الله، كفاه.

وبعض الناس يعلّق هذه الأشياء على نفسه، وهو ليس فيه مرض حسي، وإنما فيه مرض وهمي، وهو الخوف من العين والحسد، أو يعلقها على سيارته أو دابّته أو باب بيته أو دكانه. وهذا كله من ضعف العقيدة، وضعف توكله على الله، وإنّ ضعف العقيدة هو المرض الحقيقي الذي يجبُ علاجه بمعرفة التوحيد والعقيدة الصحيحة.



(١) أخرجه أحمد (٣١٠ / ٤)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٢١٦ / ٤)، والطبراني في الكبير (٣٨٥ / ٢٢) من حديث عبد الله بن عكيم مرفوعاً.

الْفَضِيلُ الْجَاهِلِيُّ عَشْرِينَ

في بيان حكم الحلف بغير الله والتوسل والاستغاثة والاستعانة بالمخلوق



الحلف بغير الله:

الحلف: هو اليمين، وهي: تأكيد الحكم بذكر مُعَظَّم على وجه الخصوص^(١).

والتعظيم حق لله تعالى، فلا يجوز الحلف بغيره، فقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله، أو بأسمائه وصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره.

والحلف بغير الله شرك؛ لما روى ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»^(٢)، وهو شرك أصغر، إلا إذا كان المحلوف به معظماً عند الحالف إلى درجة عبادته له، فهذا شرك أكبر؛ كما هو الحال اليوم عند عبادة القبور، فإنهم يخافون مَنْ يعظمون من أصحاب القبور أكثر من خوفهم من الله وتعظيمه، بحيث إذا طُلب من أحدهم أن يحلف بالولي الذي يعظمه، لم يحلف به إلا إذا كان صادقاً، وإذا طلب منه أن يحلف بالله، حلف به، وإن كان كاذباً.

(١) انظر: المطلاع على ألفاظ المقنع (١/ ٤٧٠)، والمبدع في شرح المقنع (٨/ ٥٧)، والإقناع في

فقه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٩)، ومنتهى الإرادات (٥/ ٢٠٩)، وكشاف القناع (٦/ ٢٢٨).

(٢) سبق تخريجه (ص ٨٧).

فالحلف تعظيم للمحلف به لا يليق إلا بالله، ويجب توقير اليمين؛ فلا يكثر منها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]؛ أي: لا تحلفوا إلا عند الحاجة، وفي حالة الصدق والبر؛ لأن كثرة الحلف أو الكذب فيها يدلان على الاستخفاف بالله، وعدم التعظيم له، وهذا ينافي كمال التوحيد، وفي الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشِيمُطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ بِضَاعَةً فَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ»^(١)، فقد شدد الوعيد على كثرة الحلف، مما يدل على تحريمه احتراماً لاسم الله تعالى، وتعظيماً له سبحانه.

وكذلك يحرم الحلف بالله كاذباً، وهي: اليمين الغموس^(٢)، وقد وصف الله المنافقين بأنهم يحلفون على الكذب وهم يعلمون.

فتلخص من ذلك:

❖ تحريم الحلف بغير الله تعالى؛ كالحلف بالأمانة^(٣)، أو الكعبة^(٤)،

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٢/ ٨٢) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٠٢٠): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ، وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينَ صَبْرٍ، فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا جُعِلَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٢٥٣): عَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا».

(٤) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥): عَنْ سَعْدِ بْنِ =

أو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ذلك شرك.

❖ تحريم الحلف بالله كاذبًا متعمدًا، وهي الغموس.

❖ تحريم كثرة الحلف بالله - ولو كان صادقًا -، إذا لم تدعُ إليه حاجة؛ لأنَّ هذا استخفاف بالله سبحانه.

❖ جواز الحلف بالله إذا كان صادقًا، وعند الحاجة.

التوسل بالخلق إلى الله تعالى:

التوسل: هو التقرب إلى الشيء والتوصل إليه^(١)، والوسيلة: القربة، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]؛ أي: القربة إليه سبحانه بطاعته، واتباع مرضاته^(٢).

والتوسل قسمان:

القسم الأول: توسل مشروع، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

=عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ، رَجُلًا يَخْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».

(١) انظر: العين (٧/٢٩٨)، وتهذيب اللغة (١٣/٤٨)، ومقاييس اللغة (٦/١١٠)، ومختار الصحاح (ص ٣٣٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/٤٠٤)، وزاد المسير (١/٥٤٣)، وابن كثير (٣/١٠٣)، وأضواء البيان (٢/٩٨).

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل؛ كما قال تعالى عن أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وكما في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فسدت عليهم باب الغار، فلم يستطيعوا الخروج، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم؛ ففرج الله عنهم، فخرجوا يمشون^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (١٠٠) (٢٧٤٣) عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوُّوا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدَقُ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرْقٍ مِنْ أَرْزُ، فَذَهَبَ وَتَرَكَنِي، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَرَزَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: ااعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسْقِهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أَرْزُ، فَقُلْتُ لَهُ: ااعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَاَنسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنٍ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاعَوْنَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا، فَيَسْتَكِينَا لِشَرِّبَتِيهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَاَنسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِبَايَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا =

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بتوحيده؛ كما توسل يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

النوع الرابع: التَّوَسَّلُ إلى الله تعالى بإظهار الضَّعف والحاجة والافتقار

إلى الله؛ كما قال أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٣].

النوع الخامس: التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء؛ كما كان

الصحابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا أَجْدَبُوا، طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ لَهُمْ، وَلَمَّا تَوَفَّى، صَارُوا يَطْلُبُونَ مِنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَدْعُو لَهُمْ ^(١).

النوع السادس: التَّوَسَّلُ إلى الله بالاعتراف بالذنب: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي

ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاعْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

القسم الثاني: توسل غير مشروع:

وهو التوسل بما عدا الأنواع المذكورة في التوسل المشروع؛ كالتوسل

بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، والتوسل بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتوسل بذات المخلوقين أو حقهم، وتفصيل ذلك كما يلي:

=إِلَيْهَا، فَأَمَكَّنْتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا فَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠١٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا فَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَنِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ بَنِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ».

❁ طلب الدعاء من الأموات لا يجوز: لأن الميت لا يقدر على الدعاء؛ كما كان يقدر عليه في الحياة، وطلب الشفاعة من الأموات لا يجوز؛ لأن عمر ابن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن بحضرتهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا، استسقوا، وتوسَّلوا، واستشفعوا بمن كان حيًّا، كالعباس وكيزيد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١)، ولم يتوسَّلوا، ولم يستشفعوا، ولم يستسقوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا عند قبره، ولا عند غيره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس، وكيزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ». «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»^(٢)، فجعلوا هذا بدلاً من ذلك؛ لما تعذر أن يتوسَّلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه، وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره، فيتوسَّلوا به -يعني: لو كان جائزاً-، فتركهم لذلك

(١) كما في الأثر الذي أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٣٦/٢)، واللالكائي في كرامات الأولياء (٢١٥/٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣/٩): عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخُبَائِرِيِّ أَنَّ السَّمَاءَ فَحَطَّتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَسْتَسْقُونَ فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ: أَيُّنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ؟ فَتَادَاهُ النَّاسُ فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ بِخَيْرِنَا، وَأَفْضَلِنَا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ بِبِزِيدِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ، يَا يَزِيدُ، ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ تَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْعَرَبِ كَأَنَّهَا ثُرُسٌ، وَهَبَ لَهَا رِيحٌ فَسَقَتْنَا حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ.

(٢) سبق تخريجه الصفحة السابقة.

دليلٌ على عدم جواز التوسل بالأَمْوات، لا لطلب الدعاء والشفاعة منهم، وهم أَمْوات، فلو كان طلب الدعاء منه والاستشفاع به حيًّا وميتًا سواء، لم يعدلوا عنه إلى غيره ممن هو دونه.

❁ والتوسل بجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بجاه غيره لا يجوز: والحديث الذي فيه: «إذا سألتُم الله فاسأَلُوهُ بجاهي، فإن جَاهي عند الله عظيم» حديث مكذوب، ليس في شيء من كتب المسلمين التي يُعتمد عليها، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث^(١)، وما دام لا يصح فيه دليل، فهو لا يجوز؛ لأن العبادات لا تثبت إلا بدليل صريح.

❁ والتوسل بذوات المخلوقين لا يجوز: لأنه إن كانت الباء للقسم، فهو إقسام به على الله تعالى، وإذا كان الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، وهو شرك - كما في الحديث -، فكيف بالإقسام بالمخلوق على الخالق جَلَّ وَعَلَا؟! وإن كانت الباء للسببية، فالله سبحانه لم يجعل السؤال بالمخلوق سببًا للإجابة، ولم يشرعه لعباده.

❁ والتوسل بحق المخلوق لا يجوز لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا يجب عليه حقٌّ لأحد، وإنما هو الذي يتفضل سبحانه على المخلوق بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/٣١٩).

فكون المطيع يستحق الجزاء، هو استحقاق فضل وإنعام، وليس هو استحقاق مقابلة؛ كما يستحق المخلوق على المخلوق.

الثاني: أن هذا الحق الذي تفضل الله به على عبده هو حق خاص به، لا علاقة لغيره به، فإذا توسل به غير مستحقه، كان متوسلاً بأمر أجنبي، لا علاقة له به، وهذا لا يجديه شيئاً.

وأما الحديث الذي فيه: «أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ»، فهو حديث لم يثبت؛ لأن في إسناده عطية العوفي، وهو ضعيف مجمع على ضعفه، كما قال بعض المحدثين^(١)، وما كان كذلك، فإنه لا يحتاج به في هذه المسألة المهمة من أمور العقيدة، ثم إنه ليس فيه توسل بحق شخص معين، وإنما فيه التوسل بحق السائلين عموماً، وحق السائلين الإجابة كما وعدهم الله بذلك، وهو حق أوجبه على نفسه لهم، لم يوجبه عليه أحد، فهو توسل إليه بوعده الصادق، لا بحق المخلوق.

(١) الحديث أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وأحمد في مسنده (١٧/٢٤٧)، والطبراني في الدعاء (ص ١٤٩): «عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ».

قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٩٨): (هذا إسناد مسلسل بالضعفاء عطية هو العوفي وفضيل بن مرزوق والفضل بن الموقف كلهم ضعفاء). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٤) (١/٨٢).

حكم الاستعانة والاستغاثة بالخلق:

الاستعانة: طلب العون والمؤازرة في الأمر^(١).

والاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة^(٢).

فالاستغاثة والاستعانة بالخلق على نوعين:

النوع الأول: الاستعانة والاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه، وهذا

جائز، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿فَاسْتَغْنُ الْاَلَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها؛ مما يقدر عليه المخلوق.

النوع الثاني: الاستغاثة والاستعانة بالخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛

كالاستغاثة والاستعانة بالأموات، والاستغاثة بالأحياء والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله - من شفاء المرضى، وتفريج الكُرَبات، ودفع الضر -،

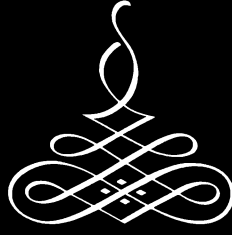
(١) انظر: دَرْج الدَّرَجِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالشُّوَر ط. الحكمة (١/ ٨٨، ١٦٠)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٥٩٨)، ومجموع الفتاوى (١/ ١٠٣)، والبحر المحيط في التفسير (٤١/ ٤٤-٤٤).

(٢) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر (٣/ ٣٩٢): (الغوث بالفتح كالغيث بالكسر من الإغاثة الإعانة وقد أغاثه يغيثه، وقد رُوي بالضم والكسر، وهما أكثر ما يجيء في الأصوات؛ كالنباح والنداء، والفتح فيها شاذ)، وقال النسفي في تفسيره (٢/ ٥٧): (واستغاثتهم أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخلص من المكروه)، وقال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٧): (ومعلوم أن الاستغاثة إنما تكون بعد الذعر فالذعر شرط فيها). وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٠)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص ١٨٠).

فهذا النوع غير جائز، وهو شرك أكبر، وقد كان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُنَافِقٍ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْمُوا بِنَا نَسْتَعِثُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَعَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١)، وكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُسْتَعْمَلَ هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته؛ حمايةً لجناب التوحيد وسدًّا لذرائع الشرك، وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال؛ فإذا كان هذا فيما يقدر عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فكيف يُسْتَعَاثُ به بعد مماته، ويُطْلَبُ منه أمور لا يقدر عليها إلا الله، وإذا كان هذا لا يجوز في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فغيره من باب أولى.



(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، في مسند عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من القسم المفقود من المعجم. وذكره الخطابي في الغنية عن الكلام وأهله (ص ٥، ٣٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٩/١٠) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.



البَابُ الْخَامِسُ

في بيان ما يجب
اعتقاده في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وأهل بيته وصحابته

وذلك في فصول:

الفصل الأول: في وجوب محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه، والنهي عن

الغلو والإطراء في مدحه، وبيان منزلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الفصل الثاني: في وجوب طاعته والاعتداء به.

الفصل الثالث: في مشروعية الصلاة والسلام عليه.

الفصل الرابع: في فضل أهل البيت، وما يجب لهم من غير جفاء ولا غلو.

الفصل الخامس: في فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم، ومذهب أهل

السنة والجماعة فيما حدث بينهم.

الفصل السادس: في النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى.

الفصل الأول

في وجوب محبة الرسول وتعظيمه والنهي عن الغلو والإطراء في مدحه وبيان منزلته صلى الله عليه وسلم



وجوب محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم:

يجبُ على العبدِ أولاً: محبةُ الله عَزَّجَلَّ، وهي من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ لأنه هو الربُّ المتفضل على عباده بجميع النعم ظاهرها وباطنها، ثم بعد محبة الله تعالى، تجب محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو الذي دعا إلى الله، وعرف به، وبلغ شريعته، وبيّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة، فعلى يد هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يدخل أحدُ الجنة إلا بطاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١)، فمحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٦، ٢١)، ومسلم (٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٧٠) (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ؛ كما في الحديث أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(١).

ففي هذا أن محبة الرسول واجبة ومقدّمة على محبة كل شيء سوى محبة الله؛ فإنها تابعة لها، لازمة لها؛ لأنها محبة في الله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان محباً لله، فإنما يحب في الله ولأجله.

ومحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق، وتعظيم سنته.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكلُّ محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله.

والمقصود: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألقى الله عليه من المهابة والمحبة.... ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر، ولا أهيب وأجل في صدره، من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدور أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عمرو بن العاص بعد إسلامه: «إنه لم يكن شخص أبغض إليّ منه. فلما أسلمت، لم يكن شخص أحب إليّ

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢).

منه، ولا أَجَلَ في عيني منه»، قال: «ولو سُئِلْتُ أن أصفه لكم، لما أَطَقْتُ؛ لأنِّي لم أكن أَمْلاً عينيَّ منه؛ إِجْلاً لاه»^(١).

وقال عروة بن مسعود لقريش: «يا قوم، والله لقد وفدت إلى كسرى وقيصر والملوك، فما رأيتُ ملكاً يعظمه أصحابه؛ ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله ما يحدُّون النظر إليه تعظيماً له، وما تنخَّم نُخامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فبدلك بها وجهه وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه»^(٢) انتهى^(٣).

النهى عن الغلو والإطراء في مدحه:

الغلو: تجاوز الحد، يُقَالُ: غَلَا غُلُوًّا، إذا تجاوز الحد في القدر، قال تعالى:

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]؛ أي: لا تجاوزوا الحد^(٤).

والإطراء: مجاوزة الحدِّ في المدح، والكذب فيه^(٥)، والمرادُ بالغلوِّ في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مجاوزة الحد في قدره؛ بأن يُرفع فوق مرتبة العبودية والرسالة، ويُجعل له شيء من خصائص الإلهية؛ بأن يُدعى، ويُستغاث به من دون الله، ويُحلف به.

(١) أخرجه مسلم (١٩٢) (١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (ص ١٨٧-١٨٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٧٠٠)، والقرطبي (٦/ ٢١)، وابن كثير (٢/ ٤٧٧).

(٥) انظر معنى الإطراء في: تهذيب اللغة (١٤/ ٧)، والنهاية في غريب الحديث والأثر

(٣/ ١٢٣)، ولسان العرب (١٥/ ٦).

والمراد بالإطراء في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ يُزَادَ فِي مَدْحِهِ، فَقَدْ نَهَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَا تُطَرُّونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١)؛ أَي: لَا تَمْدَحُونِي بِالْبَاطِلِ، وَلَا تَجَاوِزُوا الْحَدَّ فِي مَدْحِي؛ كَمَا غَلَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَادَّعَوْا فِيهِ الْأُلُوهِيَّةَ، وَصَفُّونِي بِمَا وَصَفَنِي بِهِ رَبِّي، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَلَمَّا قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^(٢).

وَقَالَ لَهُ نَاسٌ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَيَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللَّهُ تَعَالَى، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٣)، فَكَرِهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْدَحُوهُ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ: (أَنْتَ سَيِّدُنَا، أَنْتَ خَيْرُنَا، أَنْتَ أَفْضَلُنَا، أَنْتَ أَعْظَمُنَا)، مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَشْرَفُهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ لَكِنَّهُ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ؛ ابْتِعَادًا بِهِمْ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ فِي حَقِّهِ، وَحَمَايَةً لِلتَّوْحِيدِ، وَأَرْشَادَهُمْ أَنْ يَصِفُوهُ بِصِفَتَيْنِ؛ هُمَا

(١) سبق تخريجه (ص ١١٦).

(٢) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٠٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ».

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (١٠٠٠٧)، وَأَحْمَدُ (٢١٦/٢١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أعلى مراتب العبد، وليس فيها غلو ولا خطر على العقيدة، وهما: عبد الله ورسوله، ولم يُحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عَزَّجَلَّ من المنزلة التي رضىها له، وقد خالف نهيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرٌ من الناس، فصاروا يدعونه، ويستغيثون به، ويحلفون به، ويطلبون منه ما لا يُطلب إلا من الله؛ كما يُفعل في الموالد والقصائد والأناشيد، ولا يُميزون بين حق الله وحق الرسول.

يقول العلامة ابن القيم في النونية^(١):

لِلَّهِ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ
لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانِ

بيان منزلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لا بأس ببيان منزلته بمدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما مدحه الله به، وذكر منزلته التي فضله الله بها واعتقاد ذلك، فله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وأفضل الخلق على الإطلاق، وهو رسول الله إلى الناس كافة، وإلى جميع الثقليين الجن والإنس، وهو أفضل الرسل، وخاتم النبيين^(٢)، لا نبي بعده^(٣)، قد شرح الله له صدره، ورفع له

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٤٧).

(٢) دليله قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤٠].

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٢٧٨/٥)، وأصله في مسلم (٢٨٨٩)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفيه: «... إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

ذكره، وجعل الذِّلَّةَ والصَّغارَ على من خالف أمره^(١)، وهو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ أي: المقام الذي يُقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة؛ ليرحمهم ربهم من شدة الموقف، وهو مقام خاص به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون غيره من النبيين^(٢).

وهو أخشى الخلق لله، وأتقاهم له^(٣)، وقد نهى الله عن رفع الصوت بحضرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأثنى على الذين يَغْضُونَ أصواتهم عنده، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (١٢٦/٩)، والطبراني في مسند الشاميين (١٣٥/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٧/٢)، وابن أبي شيبة (٢١٢/٤) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَخُدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

(٢) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ، منها: ما رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم [٣٢٢(١٩٣)]، و[٣٢٦(١٩٢)] بلفظ أتم، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [٣٢٧(١٩٤)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ورواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم [٣٠٢(١٨٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٧٤) (١١٠٨) عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَقْبَلُ الصَّائِمُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْ هَذِهِ لِأُمِّ سَلَمَةَ» فَأَخْبَرَتْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَتَقَاتُمُ اللَّهَ، وَأَخْشَاكُمُ لَهُ».

كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [الحجرات: ٢-٥].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَذِهِ آدَابُ، أَدَبَ اللَّهِ بِهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا يُعَامِلُونَ بِهِ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ وَالتَّبَجِيلِ وَالْإِعْظَامِ... هَذَا آدَبٌ ثَانٍ أَدَبَ اللَّهِ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَلَّا يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ صَوْتِهِ) ^(١).

ونهى سبحانه وتعالى أن يُدعى الرسول باسمه كما يُدعى سائر الناس، فيقال: يا محمد، وإنما يُدعى بالرسالة والنبوة، فيقال: يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

كما أن الله سبحانه يناديه بـ (يا أيها النبي، يا أيها الرسول)، وقد صلى الله وملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٤-٣٦٥).

لكن لا يُخصص لمدحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقتٌ ولا كيفية معينة إلا بدليلٍ صحيح من الكتاب والسُّنة، فما يفعله أصحابُ الموالد من تخصيص اليوم الذي يزعمون أنه يوم مولده لمدحه بدعة منكرة.

ومن تعظيمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تعظيم سنته، واعتقاد وجوب العمل بها، وأنها في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في وجوب التعظيم والعمل؛ لأنها وحي من الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

فلا يجوز التشكيك فيها، والتقليل من شأنها، أو الكلام فيها بتصحيح أو تضعيف لطرقها وأسانيدها أو شرح لمعانيها إلا بعلم وتحفظ، وقد كثر في هذا الزمان تطاول الجهَّال على سُنَّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خصوصًا من بعض الشباب الناشئين؛ الذين لا يزالون في المراحل الأولى من التعليم، صاروا يصحِّحون ويُضعِّفون في الأحاديث، ويجرحون في الرواة بغير علم، سوى قراءة الكتب، وهذا خطرٌ عظيم عليهم وعلى الأمة، فيجب عليهم أن يتقوا الله، ويقفوا عند حدهم.



الفصل الثاني

في وجوب طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به



تجب طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، وهذا من مقتضى شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله تعالى بطاعته في آيات كثيرة، تارة مقرونة مع طاعة الله؛ كما في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وأمثالها من الآيات، وتارة يأمر بها منفردة؛ كما في قوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

وتارة يتوعد من عصى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]؛ أي: تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو عذاب أليم في الدنيا؛ بقتل، أو حدٍّ، أو حبس، أو غير ذلك من العقوبات العاجلة.

وقد جعل الله طاعته واتباعه سبباً لنيل محبة الله للعبد ومغفرة ذنوبه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وجعل طاعته هداية، ومعصيته ضلالاً، قال تعالى: ﴿وَلِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ

أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ [الفصل: ٥٠].

وأخبر سبحانه وتعالى أن فيه القدوة الحسنة لأمته، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَضَلُّ كَثِيرٌ فِي النَّاسِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ النَّاسُ بِالنَّاسِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، فِي صَبْرِهِ وَمُصَابَرَتِهِ، وَمُرَابَطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ، وَانْتِظَارِهِ الْفَرَجَ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (١).

وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو أربعين موضعاً من القرآن، فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب؛ فإنَّ الطعام والشراب إذا فات الحصول عليهما، حصل الموت في الدنيا، وطاعة الرسول واتباعه إذا فاتا، حصل العذاب والشقاء الدائم، وقد أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاعتداء به في أداء العبادات، وأن تؤدي على الكيفية التي كان يؤديها بها، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (٢).

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣/ ٢٦٤)، والبخاري (٦٣١) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»^(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وقال: «فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي»^(٣)، إلى غير ذلك من النصوص التي فيها الأمر بالاعتداء به، والنهي عن مخالفته.



(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥ / ١٢٥)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي لفظ لمسلم (٣١٠) (١٢٩٧)، وأبي داود (١٩٧٠): «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَذْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص ٦٢).

(٣) سبق تخريجه (ص ٦٣).

الْفَضْلُ الثَّالِثُ

في مشروعية الصلاة والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



من حقه الذي شرع الله له على أمته أن يُصَلُّوا ويسَلِّموا عليه، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقد ورد أن معنى صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة^(١)، وصلاة الملائكة: الدعاء، وصلاة الأدميين: الاستغفار، وقد أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي.

ومعنى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؛ أي: حيؤه بتحية الإسلام؛ فإذا صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليجمع بين الصلاة والتسليم؛ فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: (صلى الله عليه) فقط، ولا يقول: (عليه السلام) فقط؛ لأن الله تعالى أمر بهما جميعاً.

وتشرع الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواطن يتأكد طلبها فيها؛ إما وجوباً، وإما استحباباً مؤكداً، وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (جلاء الأفهام) واحداً

(١) أخرجه البخاري معلقاً (٦/ ١٢٠). وانظر: كتاب (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام): (ص ٢٥٣ - ٢٧٦)، و(بدائع الفوائد): (١/ ٤٤ - ٤٧) لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأربعين موطنًا؛ بدأها بقوله: (الموطن الأول - وهو أهمها وأكدها-: في الصلاة في آخر التشهد، وقد أجمع المسلمون على مشروعيتها، واختلفوا في وجوبه فيها)^(١)، ثم ذكر من المواطن: آخر القنوت، وفي الحُطْب كخطبة الجمعة، والعيدين والاستسقاء، وبعد إجابة المؤذن، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ذكر رَحْمَةُ اللَّهِ الثمرات الحاصلة من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر فيها أربعين فائدة:

منها: امتثال أمر الله سبحانه بذلك.

ومنها: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

ومنها: رجاء إجابة الدعاء إذا قَدَّمَهَا أمامه.

ومنها: أنها سبب لشفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنها: أنها سبب لغفران الذنوب.

ومنها: أنها سبب لرد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المُصَلِّي والمُسلِّم عليه^(٢).

فصلواتُ الله وسلامه على هذا النبي الكريم.



(١) انظر: جلاء الأفهام (ص ٢٢٢-٢٢٣).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص ٣٠٢).

الْفَضِيلُ الرَّابِعُ

في فضل أهل البيت

وما يجب لهم من غير جفاء ولا غلو



أهل البيت هم آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين حُرِّمَتْ عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبناته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ الَّذِي لَا يَشْكُ فِيهِ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاخِلَاتٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلَامِ مَعَهُنَّ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ أَيِ: اَعْمَلْنَ بِمَا يَنْزِلُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. قَالَهُ قَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَأَذْكُرَنَّ هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي خُصِّصْتُنَّ بِهَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، أَنَّ الْوَحْيَ يَنْزِلُ فِي بُيُوتِكُنَّ دُونَ سَائِرِ النَّاسِ، وَعَائِشَةُ [الصَّدِيقَةُ] بِنْتُ الصَّدِيقِ أَوْلَاهُنَّ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَخْطَاهُنَّ بِهَذِهِ الْغَنِيمَةِ، وَأَخْصَّهْنَّ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الْعَمِيمَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيُ فِي فِرَاشِ امْرَأَةٍ سِوَاهَا، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، رَحِمَهُ اللَّهُ: لِأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرٍّ سِوَاهَا، وَلَمْ يَنْمَ مَعَهَا رَجُلٌ فِي

فَرَاشَهَا سِوَاهُ - يريد أنها لم تتزوج غيره -، فَنَاسَبَ أَنَّ تُخَصَّصَ بِهِذِهِ الْمَرْيَّةُ، وَأَنَّ تُفَرَّدَ بِهِذِهِ الرَّثْبَةُ الْعَلِيَّةُ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَ أَزْوَاجُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَرَابَتُهُ أَحَقُّ بِهِذِهِ التَّسْمِيَةِ). انتهى من تفسير ابن كثير (١).

فأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ - اسم موضع - : «أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» (٢).

فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم؛ لأن ذلك من محبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإكرامه، وذلك بشرط: أن يكونوا متبعين للسُّنَّةِ مُسْتَقِيمِينَ عَلَى الْمِلَّةِ؛ كما كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُهُمْ كَالْعَبَّاسِ وَبَنِيهِ، وَعَلِي وَبَنِيهِ، أَمَا مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ عَلَى الدِّينِ، فَإِنَّهُ لَا تَجُوزُ مَوَالَاتُهُ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.

فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم، ويتبرءون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، فَإِنْ كَوْنُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمِنْ قَرَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْفَعُهُ شَيْئًا حَتَّى يَسْتَقِيمَ عَلَى دِينِ اللَّهِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أُغْنِي

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٤-٤١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِّينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

والحديث: «وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٢).

ويتبرأ أهل السنة والجماعة من طريقة الروافض^(٣)؛ الذين يُغلون في بعض أهل البيت، ويدَّعون لهم العصمة، ومن طريقة النواصب؛ الذين ينصبون العداوة لأهل البيت المستقيمين، ويطعنون فيهم، ومن طريقة المبتدعة والخرافيين الذين يتوسلون بأهل البيت، ويتخذونهم أرباباً من دون الله.

فأهل السنة في هذا الباب وغيره على المنهج المعتدل، والصراط المستقيم الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ولا جفاء ولا غلو في حق أهل البيت وغيرهم،

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣، ٣٥٢٧)، ومسلم (٢٠٤، ٢٠٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرْتُ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَذَكَّرُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

(٣) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سموا (رافضة) لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟ قالوا: نعم، فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ١٦ وما بعدها)، والفرق بين الفرق (ص ١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين (ص ٥٢).

وأهل البيت المستقيمون يُنكرون الغلو فيهم، ويتبرءون من الغلاة، فقد حرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الغلاة الذين غَلَوْا فيه بالنار، وأقره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على قتلهم، لكن يرى قتلهم بالسيف بدلاً من التحريق^(١)، وطلب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن سبأ^(٢) رأس الغلاة ليقبله؛ لكنه هرب واختفى.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٩٢٢): عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: أُرِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرْزَادِقَةَ، فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أُحْرِقْهُمْ، لِنَهْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ» وَلَقَتَلْتُهُمْ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَأَقْتُلُوهُ».

(٢) هو عبد الله بن سبأ الذي يُنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، وكان يقول لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت، وأن ابن ملجم قتل شيطانا تصور بصورة علي، وأن علياً في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل إلى الأرض ويملؤها عدلاً، وأتباعه حين يسمعون صوت الرعد يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين!! انظر: تاريخ دمشق (٣/٢٩)، ووفيات الأعيان (٤/٣١٠)، والوفاء بالوفيات (١٧/١٠٠)، والتعريفات (ص ١٥٥).

الْفَضْلُ الْخَامِسُ

فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم ومذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بينهم

ما المراد بالصحابة، وما الذي يجب اعتقاده فيهم؟

الصحابة جمع صحابي: وهو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ومات على ذلك^(١)، والذي يجب اعتقاده فيهم أنهم أفضل الأمة، وخير القرون؛ لسبقهم واختصاصهم بصحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والجهاد معه، وتحمل الشريعة عنه، وتبليغها لمن بعدهم، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْهِ أَشَدُّ أَلَمًا لِّلْكُفَّارِ لَمَّا يَبْلُغُونَ أَجْلَهُمْ وَيُقَالُ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا تَرَيبُهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) انظر: شرح التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي (٢/ ١٢٠)، والإصابة لابن حجر (١/ ١٥٨)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (٤/ ٧٢٤)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٦٩).

مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿[الفتح: ٢٩]﴾، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿[الحشر: ٨-٩]﴾.

ففي هذه الآيات أن الله سبحانه أثنى على المهاجرين والأنصار، ووصفهم بالسبق إلى الخيرات، وأخبر أنه قد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأعدَّ لهم الجنات، ووصفهم بالتراحم فيما بينهم، والشدة على الكفار، ووصفهم بكثرة الركوع والسجود، وصلاح القلوب، وأنهم يعرفون بسيا الطاعة والإيمان، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه؛ ليغيظ بهم أعداءه الكفار، كما وصف المهاجرين بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه، وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم صادقون في ذلك، ووصف الأنصار بأنهم أهل دار الهجرة والنصرة، والإيمان الصادق، ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين، وإيثارهم على أنفسهم، ومواساتهم لهم، وسلامتهم من الشح، وبذلك حازوا على الفلاح.

هذه بعض فضائلهم العامة، وهناك فضائل خاصة ومراتب يفضل بها بعضهم بعضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذلك بحسب سبقهم إلى الإسلام والجهاد والهجرة.

فأفضل الصحابة الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم هؤلاء الأربعة، وطلحة، والزبير،

وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وَيَفْضُلُ المهاجرون على الأنصار، وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان، وَيَفْضُلُ من أسلم قبل الفتح وقاتل على من أسلم بعد الفتح.

❁ مذهب أهل السنة والجماعة فيما حدث بين الصحابة من القتال

والفتنة:

سبب الفتنة: تآمر اليهود على الإسلام وأهله، فدسوا ماكرًا خبيثًا تظاهر بالإسلام كذبًا وزورًا هو: عبد الله بن سبأ، من يهود اليمن، فأخذ هذا اليهودي ينفث حقه وسمومه ضد الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين: عثمان بن عفان - رضي الله عنه وأرضاه -، ويخلق التهم ضده، فالتف حوله من انخدع به من قاصري النظر وضعاف الإيمان ومحبي الفتنة، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة الراشد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلومًا، وعلى إثر مقتله حصل الاختلاف بين المسلمين، وشبَّت الفتنة بتحريض من هذا اليهودي وأتباعه، وحصل القتال بين الصحابة عن اجتهاد منهم.

قال شارح الطحاوية: (إِنَّ أَصْلَ الرَّفْضِ إِنَّمَا أَحْدَثَهُ مُنَافِقُ زَنْدِيقٌ، قَصْدُهُ إِبْطَالُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَدْخُ فِي الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ. فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَبَّأٍ لَمَّا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، أَرَادَ أَنْ يُفْسِدَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِمَكْرِهِ وَخَبْثِهِ، كَمَا فَعَلَ بُولَسُ بِيْدِينَ النَّصْرَانِيَّةِ، فَأَظْهَرَ التَّنْسُكَ، ثُمَّ أَظْهَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى سَعَى فِي فِتْنَةِ عُثْمَانَ وَقَتْلِهِ، ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ عَلَيَّ

الْكُوفَةَ أَظْهَرَ الْغُلُوفِ فِي عَلِيٍّ وَالنَّصْرَ لَهُ، لِيَتِمَّكَنَ بِذَلِكَ مِنْ أَغْرَاضِهِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَطَلَبَ قَتْلَهُ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى قَرْقِيسَ، وَخَبَرَهُ مَعْرُوفٌ فِي التَّارِيخِ^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (لَمَّا قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَفَرَّقَتْ الْقُلُوبُ، وَعَظُمَتِ الْكُرُوبُ، وَظَهَرَتِ الْأَشْرَارُ، وَذُلَّ الْأَخْيَارُ، وَسَعَى فِي الْفِتْنَةِ مَنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْهَا، وَعَجَزَ عَنِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ مَنْ كَانَ يُحِبُّ إِقَامَتَهُ، فَبَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْخِلَافَةِ حِينَئِذٍ، وَأَفْضَلُ مَنْ بَقِيَ، لَكِنْ كَانَتْ الْقُلُوبُ مُتَفَرِّقَةً، وَنَارُ الْفِتْنَةِ مُتَوَقِّدَةً، فَلَمْ تَتَّفِقْ الْكَلِمَةُ، وَلَمْ تَنْتَظِمِ الْجَمَاعَةُ، وَلَمْ يَتِمَّكَنِ الْخَلِيفَةُ وَخِيَارُ الْأُمَّةِ مِنْ كُلِّ مَا يُرِيدُونَهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَدَخَلَ فِي الْفُرْقَةِ وَالْفِتْنَةِ أَقْوَامٌ. وَكَانَ مَا كَانَ)^(٢).

وقال -أيضاً- مبيِّناً عذر المتقاتلين من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي قِتَالِ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (وَمَعَاوِيَةُ لَمْ يَدَّعِ الْخِلَافَةَ؛ وَلَمْ يُبَايِعْ لَهُ بِهَا حِينَ قَاتَلَ عَلِيًّا، وَلَمْ يُقَاتِلْ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةٌ، وَلَا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْخِلَافَةَ، وَيُقَرُّونَ لَهُ بِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ مُعَاوِيَةُ يُقَرُّ بِذَلِكَ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْهُ، وَلَا كَانَ مُعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ يَرَوْنَ أَنَّ يَبْتَدِئُوا عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ بِالْقِتَالِ، وَلَا يَعْلَمُوا. بَلْ لَمَّا رَأَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمُبَايَعَتُهُ، إِذْ لَا يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَّا خَلِيفَةٌ وَاحِدٌ، وَأَتَمُّهُمْ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ يَمْتَنِعُونَ عَنْ هَذَا الْوَاجِبِ، وَهُمْ أَهْلُ شَوْكَةٍ رَأَى أَنَّ يُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يُؤْذُوا هَذَا الْوَاجِبَ، فَتَحْصَلَ الطَّاعَةُ وَالْجَمَاعَةُ وَهُمْ -أي:

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص ٤٩٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٠٤/٢٥)، والفتاوى الكبرى (١/١٩٨).

معاوية ومن معه - قالوا: إِنَّ ذَلِكَ لَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتُمْ إِذَا قُوتِلُوا عَلَى ذَلِكَ كَانُوا مَظْلُومِينَ قَالُوا: لِأَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتْلُهُ فِي عَسْكَرِ عَلِيٍّ، وَهُمْ غَالِبُونَ لَهُمْ شَوْكَةً، فَإِذَا امْتَنَعْنَا ظَلَمُونَا وَاعْتَدَوْا عَلَيْنَا، وَعَلَيٌّ لَا يُمَكِّنُهُ دَفْعُهُمْ، كَمَا لَمْ يُمَكِّنْهُ الدَّفْعُ عَنْ عُثْمَانَ؛ وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُبَايَعَ خَلِيفَةً يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْصِفَنَا وَيَبْذُلَ لَنَا الْإِنْصَافَ^(١).

ومذهب أهل السنة والجماعة في الاختلاف الذي حصل والفتنة التي وقعت من جرائها الحروب بين الصحابة يتلخص في أمرين:

الأمر الأول: أنهم يمسكون عن الكلام فيما حصل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويكفون عن البحث فيه؛ لأن طريق السلامة هو السكوت عن مثل هذا، ويقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

الأمر الثاني: الإجابة عن الآثار المروية في مساوئهم، وذلك من وجوه: **الوجه الأول:** أن هذه الآثار منها ما هو كذب قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم.

الوجه الثاني: أن هذه الآثار منها ما قد زيد ونقص فيه، وغير عن وجهه الصحيح، ودخله الكذب، فهو محرف لا يلتفت إليه.

الوجه الثالث: أن ما صح من هذه الآثار - وهو القليل - هم فيه معذورون؛ لأنهم إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فهو من

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧٢ / ٣٥)، والفتاوى الكبرى (٤٥٥ / ٣).

موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه، فله أجران، وإن أخطأ، فله أجر واحد، والخطأ مغفور؛ لما في الحديث: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).

الوجه الرابع: أنهم بشر، يجوز على أفرادهم الخطأ، فهم ليسوا معصومين من الذنوب بالنسبة للأفراد؛ لكن ما يقع منهم، فله مكفرات عديدة، منها:

❖ أن يكون قد تاب منه، والتوبة تمحو السيئة مهما كانت؛ كما جاءت به الأدلة.

❖ أن لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم -إن صدر-، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، ولهم من الصُّحبة والجهاد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يغمر الخطأ الجزئي.

❖ أنهم تُضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم، ولا يساويهم أحد في الفضل، وقد ثبت بقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم خير القرون، وأن المَدَّ من أحدهم إذا تصدق به أفضل من جبل أحد ذهباً إذا تصدق به غيرهم -رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسَائِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَائِمَّةُ الدِّينِ لَا يَعْتَقِدُونَ عِصْمَةَ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا الْقُرَابَةِ وَلَا السَّابِقِينَ

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٥) (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا غَيْرِهِمْ؛ بَلْ يَجُوزُ عِنْدَهُمْ وَقُوعُ الذُّنُوبِ مِنْهُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَغْفِرُ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَيَرْفَعُ بِهَا دَرَجَاتِهِمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ بِحَسَنَاتٍ مَاحِيَةٍ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٤] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦]. انتهى (١).

وقد اتخذ أعداء الله ما وقع بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقت الفتنة من الاختلاف والافتتال سبباً للوقعة بهم، والنيل من كرامتهم، وقد جرى على هذا المخطط الخبيث بعض الكتاب المعاصرين؛ الذين يهرفون بما لا يعرفون، فجعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يصبّون بعضهم، ويخطئون بعضهم، بلا دليل، بل بالجهل واتباع الهوى، وترديد ما يقوله المغرضون والحاقدون من المستشرقين وأذناهم؛ حتى شككوا بعض ناشئة المسلمين - ممن ثقافتهم ضحلة - بتاريخ أمتهم المجيد، وسلفهم الصالح الذين هم خير القرون؛ لينفذوا بالتالي إلى الطعن في الإسلام،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦٩/٣٥)، والفتاوى الكبرى (٤٥٣/٣).

وتفريق كلمة المسلمين، وإلقاء البُغض في قلوب آخر هذه الأمة لأولها،
 بدلاً من الاقتداء بالسلف الصالح، والعمل بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا
 مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
 وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



الْفَضْلُ السَّلَاسِ

في النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى

النهي عن سب الصحابة:

من أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألستهم لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كما وصفهم الله بذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وطاعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

ويتبرءون من طريقة الرافضة، والخوارج^(٢) الذين يسبون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويغضونهم، ويحذون فضائلهم، ويكفرون أكثرهم.

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٢٢) (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَحْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

وأهل السنة يقبلون ما جاء في الكتاب والسنة من فضائلهم، ويعتقدون أنهم خير القرون؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...» الحديث^(١).

ولما ذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأنها في النار إلا واحدة، وسأله عن تلك الواحدة، قال: «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٢).

قال أبو زرعة -وهو أجَلُّ شيوخ الإمام مسلم-: (إذا رأيت الرجل يتنقص امرأ من الصحابة؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق، والرسول حق، وما جاء به حق، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة؛ فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة؛ فيكون الجرح به أليق، والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق)^(٣).

قال العلامة ابن حمدان في «نهاية المبتدئين»: (مَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ مُسْتَحِلًّا، كَفَرَ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحِلَّ، فَسَقَ، وَعَنْهُ: يَكْفُرُ مُطْلَقًا، وَإِنْ فَسَقَهُمْ، أَوْ طَعَنَ فِي دِينِهِمْ، أَوْ كَفَّرَهُمْ؛ كَفَرَ)^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩، ٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث

عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص ١٤).

(٣) انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٦٠٨).

(٤) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية (٢/ ٣٨٩).

النهي عن سب أئمة الهدى من علماء هذه الأمة؛

يلي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الفضيلة والكرامة والمنزلة: أئمة الهدى من التابعين وأتباعهم من القرون المفضلة، ومن جاء من بعدهم ممن تبع الصحابة بإحسان؛ كما قال تعالى: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَىٰ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، فلا يجوز تنقصهم وسبهم؛ لأنهم أعلام هدى، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال شارح الطحاوية: (فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَعْدَ مَوَالَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَوَالَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، خُصُوصًا الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ، يَهْتَدِي بِهِمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَاسَتِهِمْ، إِذْ كُلُّ أُمَّةٍ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَاؤُهَا شِرَارُهَا، إِلَّا الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ عُلَمَاءَهُمْ خِيَارُهُمْ، فَإِنَّهُمْ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَالْمُخَيُّونَ لِمَا مَاتَ مِنْ سُنَّتِهِ، فَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا، وَبِهِمْ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا، وَكُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ اتِّفَاقًا يَقِينًا عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ إِذَا وُجِدَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْلٌ قَدْ جَاءَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بخلافه، فلا بد له في تركه من عُذْرٍ، وَجَمَاعُ الْأَعْدَارِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ:

أَحَدُهَا: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ.

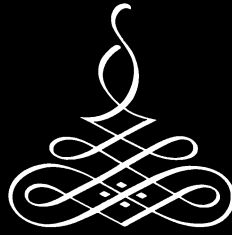
وَالثَّانِي: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ أَرَادَ تِلْكَ الْمُسْأَلَةَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ.
وَالثَّالِثُ: اعْتِقَادُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ مَنْسُوخٌ.

فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا وَالْمِنَّةُ بِالسَّبْقِ، وَتَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَيْنَا، وَإِيضاحِ مَا كَانَ مِنْهُ يُخْفَى عَلَيْنَا، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ. ﴿رَبَّنَا
أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] (١).

والخطّ من قدر العلماء بسبب وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم هو
من طريقة المبتدعة، ومن مُحططات أعداء الأمة؛ للتشكيك في دين الإسلام،
ولإيقاع العداوة بين المسلمين، ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبثّ
الفرقة بين الشباب والعلماء؛ كما هو الواقع الآن، فليتنبه لذلك بعض الطلبة
المبتدئين؛ الذين يحيطون من قدر الفقهاء، ومن قدر الفقه الإسلامي، ويزهدون
في دراسته، والانتفاع بما فيه من حق وصواب، فليعتزوا بفقههم، وليحترموا
علماءهم؛ ولا يخذعوا بالدعايات المضللة والمغرضة. والله الموفق.



(١) انظر: شرح الطحاوية (ص ٤٩١).



البَابُ السَّادِسُ البدع

ويتضمن الفصول التالية :

الفصل الأول: تعريف البدعة - أنواعها - أحكامها.

الفصل الثاني: ظهور البدع في حياة المسلمين، والأسباب التي أدت إليها.

الفصل الثالث: موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة، ومنهج أهل السنة والجماعة في الردّ عليهم.

الفصل الرابع: في الكلام على نماذج من البدع المعاصرة وهي:

١- الاحتفال بالمولد النبوي.

٢- التبرّك بالأماكن والآثار والأموات، ونحو ذلك.

٣- البدع في مجال العبادات والتّقرب إلى الله.

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

تعريف البدعة، أنواعها وأحكامها



تعريفها: البدعة في اللغة:

مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي: مخترعها على غير مثال سابق، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل.

ويقال: ابتدع فلان بدعة؛ يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها^(١).

والابتداع على قسمين:

ابتداع في العادات كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة.

وابتداع في الدين، وهذا مُحَرَّم؛ لأن الأصل فيه التوقيف، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

(١) انظر: الاعتصام (١/ ٣٧)، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٩٧)، وشرح النونية

لأحمد بن عيسى (١/ ١٣٠)، ورفع الأستار للصنعاني (ص ١٢٠).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٣٤).

(٣) سبق تخريجه (ص ٦٢).

أنواع البدع:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية؛ كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة، وسائر الفرق الضالة، واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات، كالتعبّد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة: بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أصلاً، أو أعيادًا غير مشروعة؛ كأعياد الموالد وغيرها.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها؛

كل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخَذَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)، وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣)، فدل الحديثان على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة:

فمنها ما هو كفر صراح، كالطواف بالقبور تقرّباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكأقوال غلاة الجهمية والمعتزلة.

ومنها ما هو من وسائل الشرك، كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

ومنها ما هو فسق اعتقادي كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١٧٨/١)، والحاكم في المستدرک (١٧٦/١)، والبيهقي في الكبرى (١١٤/١٠).

(٢) سبق تخريجه (ص ١٣٤).

(٣) سبق تخريجه (ص ٦٢).

ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.

تنبيه:

من قَسَمَ البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، فهو مخطئ ومخالف لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول: (ليس كل بدعة ضلالة؛ بل هناك بدعة حسنة).

قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: (فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ لَا يُخْرِجُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَهُوَ شَيْءٌ يَقُولُهُ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ شَيْئًا، وَنَسَبَهُ إِلَى الدِّينِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهُوَ ضَلَالَةٌ، وَالِدِّينُ بَرِيءٌ مِنْهُ، وَسِوَاهُ فِي ذَلِكَ مَسَائِلُ الْإِعْتِقَادَاتِ، أَوْ الْأَعْمَالِ، أَوْ الْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ). انتهى (١).

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ: «نِعَمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ» (٢).

وقالوا -أيضاً-: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف، مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢٥٠)، والبيهقي في الصغرى (١/ ٤٨١)، وفي شعب الإيمان (٣/ ١٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٣).

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع، فليست مُحدثة، وقول عمر: (نعمت البدعة) يريدُ البدعة اللغوية، لا الشرعية، فما كان له أصل في الشرع يُرجعُ إليه، إذا قيل: (إنه بدعة)، فهو بدعةٌ لغّة لا شرعاً؛ لأن البدعة شرعاً: ما ليس له أصل في الشرع. وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يأمر بكتابة القرآن، لكن كان مكتوباً متفرقاً، فجمعه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مصحف واحد؛ حفظاً له.

والتراويح قد صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ليالي، وتخلّف عنهم في الأخير خشية أن تفرض عليهم، واستمرّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على إمام واحد؛ كما كانوا خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس هذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث -أيضاً- لها أصل في الشرع، فقد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لما طلب منه ذلك، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب الحديث في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده: خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما تُوفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتفى هذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل، وضبط قبل وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدوّن المسلمون الحديث بعد ذلك؛ حفظاً له من الضياع، فجزأهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الضياع وعبث العابثين.

الْفَصْلُ الثَّانِي

ظهور البدع في حياة المسلمين
والأسباب التي أدت إليها

ظهور البدع في حياة المسلمين، وتحتة مسألتان:

المسألة الأولى: وقت ظهور البدع؛

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ عَامَّةَ الْبِدَعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ فِي هَذَا الْقَدْرِ وَغَيْرِهِ إِنَّمَا وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ فِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»^(١) (٢).

وأول بدعة ظهرت: بدعةُ القدر^(٣)،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وأحمد (٤ / ١٢٦، ١٢٧)، والدارمي (٩٥)، وابن حبان (١ / ١٧٨، ١٧٩) من حديث العرياض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٤ / ١٠).

(٣) القدريّة هم نفاة القدر القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٩٣): (والقدريّة نفاة القدر جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...) اهـ. ويُطلق اسم القدريّة على الغلاة في القدر، وهم الجبرية. انظر: الفرق بين الفرق (ص ١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٧ / ٥٨ - ٥٨)، والصفدية (١ / ٥٠)، ودراء التعارض (١ / ٣٧١ - ٣٧٤). والجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته =

وبدعة الإرجاء^(١)، وبدعة التشيع^(٢)، والخوارج، ولما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخر عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وحدثت المرجئة قريباً من ذلك، وأما الجهمية، فإنها حدثوا في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز، وقد روي أنه أنذر بهم، وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك.

هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف، وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت، زادت البدع وتنوعت.

= إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص ٦٨)، والملل والنحل (١/ ٨٥)، والتعريفات (ص ١٠١).

(١) المرجئة: قيل من الإرجاء أي: من التأخير لأنهم أخرّوا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل من الرجاء لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفرق) (ص ١٩٠).

(٢) هم الذين شابعوا علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إما جليّاً وإما خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وهم ثلاث طوائف: الغالية، والروافض، والزيدية.

انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص ١٤٦)، والتعريفات (ص ١٧١).

المسألة الثانية: مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (فَإِنَّ الْأَمْصَارَ الْكِبَارَ الَّتِي سَكَنَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَ مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ خَمْسَةٌ: الْحَرَمَانِ وَالْعِرَاقَانِ وَالشَّامُ؛ مِنْهَا خَرَجَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ وَالْفِقْهُ وَالْعِبَادَةُ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ. وَخَرَجَ مِنْ هَذِهِ الْأَمْصَارِ بَدْعُ أُصُولِيَّةِ غَيْرِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ. فَالْكُوفَةُ خَرَجَ مِنْهَا التَّشْيِيعُ وَالْإِرْجَاءُ وَانْتَشَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي غَيْرِهَا. وَالْبَصْرَةُ خَرَجَ مِنْهَا الْقَدَرُ وَالْإِعْتَزَالُ وَالنُّصُبُ الْفَاسِدُ وَانْتَشَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي غَيْرِهَا. وَالشَّامُ كَانَ بِهَا النُّصُبُ وَالْقَدَرُ، وَأَمَّا التَّجْهُّمُ فَإِنَّمَا ظَهَرَ مِنْ نَاحِيَةِ حُرَّاسَانَ وَهُوَ شَرُّ الْبَدْعِ.

وَكَانَ ظُهُورُ الْبَدْعِ بِحَسَبِ الْبُعْدِ عَنِ الدَّارِ النَّبَوِيَّةِ فَلَمَّا حَدَّثَتْ الْفُرْقَةُ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ ظَهَرَتْ بَدْعَةُ الْحُرُورِيَّةِ، وَأَمَّا الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّةُ فَكَانَتْ سَلِيمَةً مِنْ ظُهُورِ هَذِهِ الْبَدْعِ، وَإِنْ كَانَ بِهَا مَنْ هُوَ مُضْمِرٌ لِذَلِكَ، فَكَانَ عِنْدَهُمْ مُهَانًا مَذْمُومًا؛ إِذْ كَانَ بِهَا قَوْمٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَكِنْ كَانُوا مَذْمُومِينَ مَقْهُورِينَ، بِخِلَافِ التَّشْيِيعِ وَالْإِرْجَاءِ بِالْكُوفَةِ، وَالْإِعْتَزَالِ وَبَدْعِ النُّسَاكِ بِالْبَصْرَةِ، وَالنُّصُبِ بِالشَّامِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ ظَاهِرًا. وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الدَّجَالَ لَا يَدْخُلُهَا وَلَمْ يَزَلْ الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ بِهَا ظَاهِرًا إِلَى زَمَنِ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَهُمْ أَهْلُ الْقَرْنِ الرَّابِعِ^(١).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠-٣٠٠-٣٠٣).

فأما العصور الثلاثة المفضلة، فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة؛ كما خرج من سائر الأمصار.

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع؛

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد وضح ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»^(١).

فمن أعرَضَ عن الكتاب والسنة؛ تنازعتهُ الطرق المضللة، والبدع المحدثَة.

فالأسباب التي أدَّت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية: الجهلُ بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للأراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم. ونتناول هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٣٤٣/٦)، وأحمد (٤٣٥/١)، والدارمي (٢٠٢)، والبخاري (١١٣/٥، ١١٤، ١٣١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الجهل بأحكام الدين؛

كلما امتد الزمن، وبعُد الناس عن آثار الرسالة؛ قلَّ العلمُ وفشا الجهلُ؛ كما أخبرَ بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا»^(١)، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢)، فلا يُقاوِمُ البدعَ إلا العلم والعلماء، فإذا فُقد العلم والعلماء، أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر، ولأهلها أن ينشطوا.

اتباع الهوى؛

من أعرض عن الكتاب والسنة، اتبع هواه؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجن: ٢٣]، والبدع إنما هي نسيجُ الهوى المتَّبَع.

التعصب للآراء والرجال؛

التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل، ومعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ

(١) سبق تخريجه (ص ١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (١٣) (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ءَابَاءَنَا ﴿[البقرة: ١٧٠]، وهذا هو الشأن في المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين، إذا دُعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يُخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم، ومشائخهم وآبائهم وأجدادهم.

التشبه بالكفار:

وهو من أشد ما يوقع في البدع؛ كما في حديث أبي واقد الليثي قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قال: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١).

ففي هذا الحديث: أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم، فإنَّ غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات؛ كأعياد الموالد، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات، وإقامة التماثيل، والنصب التذكارية، وإقامة المآتم، وبدع الجنائز، والبناء على القبور، وغير ذلك.



(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠).

الفصل الثالث

موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج أهل السنة والجماعة في الردّ عليهم

موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة:

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة، ويُنكرون عليهم بدعهم، ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذلك:

❁ عن أم الدرداء قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَهُوَ مُغَضَّبٌ، فَقُلْتُ: مَا أَغَضَبَكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا»^(١).

❁ عن عُمَرَو بْنِ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: بَعْدُ لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آئِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ - وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا - قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنَّ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ؟ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلَقَةٍ

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠).

رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَا فَيَقُولُ: كَبُرُوا مِائَةً، فَيَكْبُرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلَّلُوا مِائَةً، فَيَهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبَّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتُمْ لَهُمْ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيَكَ، وَأَنْتَظَرُ أَمْرَكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يُضَيِّعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟!، ثُمَّ مَضَى، وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَأَكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصَا نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضَيِّعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيَحْكُمَ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكْتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ، وَآيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ! قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَإِنَّمَا اللَّهُ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلِيَاكَ الْخَلْقِ يُطَاعُونَا يَوْمَ النَّهْرِ وَإِن مَعَ الْخَوَارِجِ^(١).

❦ جاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: من أين أُحْرِمُ؟ فقال: من الميقات الذي وَقَّتَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحرم منه، فقال الرجل: فإن أحرمتُ من أبعد منه، فقال مالك: لا أرى ذلك، فقال: ما تكره من ذلك، قال: أكره عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في ازدياد الخير؟ فقال مالك:

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٢٢)، وبحشل في تاريخ واسط (ص ١٩٨، ١٩٩).

فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وأي فتنة أعظم من أنك خُصِّصَتْ بفضل لم يُختَصَّ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)؟!

هذا نموذج، ولا زال العلماء يُنكرون على المبتدعة في كل عصر، والحمد لله.

منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع؛

منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة، وهو المنهج المقنع المفحم؛ حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها، ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن، والنهي عن البدع والمحدثات، وقد ألفوا المؤلفات الكثيرة في ذلك، وردُّوا في كتب العقائد على الشيعة والخوارج والجهمية والمعتزلة والأشاعرة، في مقالاتهم المبتدعة في أصول الإيمان والعقيدة، وألفوا كتباً خاصة في ذلك، كما ألف الإمام أحمد كتاب الرد على الجهمية، وألف غيره من الأئمة في ذلك كعثمان بن سعيد الدارمي، وكما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرهم، من الرد على تلك الفرق، وعلى القبورية والصوفية، وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع، فهي كثيرة، منها على سبيل المثال من الكتب القديمة:

(١) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله (٣/ ١١٥)، وابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٤٣٢)، وأبو شامة في الباعث على إنكار البدع والحوادث (١/ ٢١)، والقرافي في الفروق (٤/ ٢٢٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٢/ ٩١)، ومجموع الفتاوى (٣٧٥/ ٢٠).

- ١ - كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي.
- ٢ - كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، فقد استغرق الرد على المبتدعة جزءًا كبيرًا منه.
- ٣ - كتاب إنكار الحوادث والبدع لابن وضّاح.
- ٤ - كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي.
- ٥ - كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة.

ومن الكتب العصرية:

- ١ - كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ.
 - ٢ - كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشيخ محمد بن أحمد الشقيري الحوامدي.
 - ٣ - رسالة التحذير من البدع للشيخ عبد العزيز بن باز.
- ولا يزال علماء المسلمين -والحمد لله- يُنكرون البدع، ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والندوات والمحاضرات، مما له كبير الأثر في توعية المسلمين، والقضاء على البدع، وقمع المبتدعين.



الْفَضِيلُ الْإِبْرَاهِيمُ

في بيان نماذج من البدع المعاصرة

وهي:

❖ الاحتفال بالمولد النبوي.

❖ التبرك بالأماكن والآثار والأموال ونحو ذلك.

❖ البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله.

البدع المعاصرة كثيرة؛ بحكم تأخر الزمن، وقلة العلم، وكثرة الدعاة إلى البدع والمخالفات، وسريان التشبه بالكفار في عاداتهم وطقوسهم؛ مصداقاً لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١).

الاحتفال بمناسبة المولد النبوي:

وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمّى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل جهلة المسلمين، أو العلماء المضلون في ربيع الأول أو في غيره من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت، أو الأمكنة المعدة لذلك، ويحضر جموعٌ كثيرة من دهماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك تشبهاً بالنصارى في

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ صَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».

ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والغالبُ أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة، وتشبهًا بالنصارى، لا يخلو من وجود الشرقيات والمنكرات؛ كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى درجة دعائه من دون الله، والاستغاثة به، وقد نهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغلو في مدحه، فقال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١)، وقد يصحب هذا الاحتفال اختلاط بين الرجال والنساء، وفساد الأخلاق، وظهور المسكرات، وغير ذلك.

الإطراء معناه: الغلو في المدح^(٢)، وربما يعتقدون أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحضّر احتفالاتهم، ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات: الأناشيد الجماعية المنعمة، وضربُ الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيه اختلاط بين الرجال والنساء، مما يُسبب الفتنة، ويجرّ إلى الوقوع في الفواحش، وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير، واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام، وإظهار الفرح - كما يقولون -، فإنه بدعة محدثة: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٣)، وأيضًا هو وسيلة على أن يتطور، ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات. وقلنا: إنه بدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري،

(١) سبق تخريجه (ص ١١٦).

(٢) انظر: (ص ١٦٣).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٩٥).

أحدثه الفاطميون الشيعة^(١)، قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رَحِمَهُ اللهُ: (أَمَّا بَعْدُ: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمل به بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيّنًا، والإيضاح عنه معيّنًا، فقلت -وبالله التوفيق-: لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكّالون)^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وكذلك ما يحدثه بعض الناس؛ إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وإما محبة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمًا... من اتخاذ مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيدًا، مع اختلاف الناس في مولده، فإنّ هذا لم يفعله السلف، ولو كان هذا خيرًا محضًا، أو راجحًا لكان السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَحَقَّ به مِنَّا؛ فإنهم كانوا أشد محبة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعظيمًا له مِنَّا، وهم على الخير أحرص، وإنما كان محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته، واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد على ذلك

(١) وهي الدولة التي تسمّت باسم الفاطميين؛ نسبة لآل البيت وأنى لهم ذلك ومؤسسها يهودي (عبد الله بن ميمون القداح) وهي دولة إسماعيلية، ومنها انبثقت الدرزية الملحدة بأمر إمامها الحاكم بأمر الله الفاطمي وأملكت في مصر حتى أباد شوكتهم الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي. انظر في عقائدهم ونشأتهم: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص ٣٥)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ١٢١)، وهذه مفاهيمنا لشيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص ١٠٤).

(٢) انظر: المورد في عمل المولد (ص ٨-١٠)، والحاوي للفتاوي (١/ ٢٢٣)، وسبل الهدى والرشاد (١/ ٣٦٨).

بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان)... انتهى ببعض اختصار^(١).

وقد أُلِّفَ في إنكار هذه البدعة كتب ورسائل قديمة وحديثة، وهو علاوة على كونه بدعة وتشبهًا، فإنه يجرُّ إلى إقامة موالد أخرى؛ كموالد الأولياء والمشائخ والزعماء؛ فيفتح أبواب شر كثيرة.

التبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً،

من البدع المحدثه: التبرك بالملخوقين، وهو لونٌ من ألوان الوثنية، وشبكة يصطاد بها المرتزقة أموال السذج من الناس، والتبرك: طلب البركة، وهي: ثبوت الخير في الشيء وزيادته، وطلبُ ثبوت الخير وزيادته إنما يكونُ ممن يملك ذلك، ويقدر عليه، وهو الله سبحانه، فهو الذي ينزل البركة، ويشبتها، أما المخلوق، فإنه لا يقدر على منح البركة وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها، فالتبرك بالأماكن والآثار والأشخاص -أحياء وأمواتاً- لا يجوز؛ لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلة إلى الشرك، إن اعتقد أن زيارته وملاسته والتمسح به سبب لحصولها من الله.

وأما ما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفعلونه من التبرك بشعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وريقه وما انفصل من جسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة كما تقدّم^(٢)؛ فذلك خاص به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يكن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتبركون بحجرته وقبره بعد موته، ولا كانوا يقصدون الأماكن التي صَلَّى فيها أو جلس فيها؛ ليتبركوا

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ١٢٣).

(٢) انظر: الفصل الأول من الباب الخامس (ص ١٦٣).

بها، وكذلك مقامات الأولياء من باب أولى، ولم يكونوا يتبركون بالأشخاص الصالحين، كأبي بكر وعمر وغيرهما من أفاضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا في الحياة ولا بعد الموت، ولم يكونوا يذهبون إلى غار حراء ليصلوا فيه أو يدعوا، ولم يكونوا يذهبون إلى الطور الذي كَلَّمَ الله عليه موسى ليصلوا فيه ويدعوا، أو إلى غير هذه الأماكن من الجبال التي يُقَالُ: إِنَّ فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم، ولا إلى مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء.

وأيضاً فإن المكان الذي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي فيه بالمدينة النبوية دائماً لم يكن أحد من السلف يستلمه ولا يُقْبَلُهُ، ولا الموضع الذي صلى فيه بمكة وغيرها، فإذا كان الموضع الذي كان يطؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدميه الكريمتين، ويصلي عليه لم يشرع لأُمَّته التمسح به ولا تقبيله، فكيف بما يقال: إن غيره صلى فيه أو نام عليه؟! فتقبيل شيء من ذلك والتمسح به قد علم العلماء بالاضطرار من دين الإسلام: أن هذا ليس من شريعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله:

البدع التي أحدثت في مجال العبادات في هذا الزمان كثيرة، والأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع شيء منها إلا بدليل، وما لم يدل عليه دليل، فهو بدعة؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جداً، منها:

الجهر بالنية للصلاة: بأن يقول: (نويت أن أصلي لله كذا وكذا)، وهذه بدعة؛ لأنه ليس من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولأن الله تعالى يقول:

(١) سبق تخريجه (ص ٦٢).

﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٦]، والنية محلها القلب، فهي عمل قلبي، لا عمل لساني.

ومنها: الذكر الجماعي بعد الصلاة؛ لأن المشروع أن كل شخص يقول الذكر الوارد منفردًا.

ومنها: طلب قراءة الفاتحة في المناسبات، وبعد الدعاء، وللأموات.
ومنها: إقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة واستئجار المقرئين، يزعمون أن ذلك من باب العزاء، أو أن ذلك ينفع الميت، وكل ذلك بدع لا أصل لها، وآصار وأغلال ما أنزل الله بها من سلطان.

ومنها: الاحتفال بالمناسبات الدينية؛ كمناسبة الإسراء والمعراج، ومناسبة الهجرة النبوية، وهذا الاحتفال بتلك المناسبات لا أصل له في الشرع.

ومن ذلك: ما يفعل في شهر رجب، وما يفعل فيه من العبادات الخاصة به - كالتطوع بالصلاة والصيام فيه خاصة -، فإنه لا ميزة له على غيره من الشهور؛ لا في الصيام والصلاة والذبح للنسك فيه، ولا غير ذلك.

ومن ذلك: الأذكار الصوفية بأنواعها، كلها بدع ومحدثات؛ لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتها وأوقاتها.

ومن ذلك: تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ويوم النصف من شعبان بصيام؛ فإنه لم يثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك شيء خاص به.

ومن ذلك: البناء على القبور، واتخاذها مساجد، وزيارتها لأجل التبرك بها، والتوسل بالموتى، وغير ذلك من الأغراض الشركية، وزيارة النساء لها؛ مع أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج.

وختاماً نقول: إنَّ البدعَ بريد الكفر، وهي زيادة دين لم يشرعه الله ولا رسوله، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، والشيطانُ يفرحُ بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة؛ لأنَّ العاصي يفعل المعصية، وهو يعلم أنها معصية، فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة، يعتقد أنها ديناً يتقرب به إلى الله، فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن، وتُكرِّه إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة.

والبدعة تباعد عن الله، وتوجبُ غضبه وعقابه، وتسبب زيغ القلوب وفسادها.



قائمة المراجع

❖ الأحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.

❖ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣ هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

❖ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

❖ أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥ هـ.

❖ الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د. سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار

ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣.

✽ اعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

✽ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

✽ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٢.

✽ الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى ابن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨ هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

- ❁ الإيمان الأوسط، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحيى، الناشر: دار طيبة، سنة النشر: ١٤٢٤، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.
- ❁ الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤١٦ - ١٩٩٦، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.
- ❁ الباعث على إنكار البدع والحوادث، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ - ١٩٧٨، عدد الأجزاء: ١.
- ❁ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.
- ❁ البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.
- ❁ البداية والنهاية، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.
- ❁ بدائع التفسير، ابن القيم، دار ابن الجوزي.

❖ بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

❖ بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢.

❖ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

❖ تاريخ بغداد، اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

❖ تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر دار الفكر بيروت.

❖ تاريخ واسط، المؤلف: أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي، أبو الحسن، بَحْثَل (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: كوركيس عواد، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.

❖ تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤، عدد الأجزاء: ١.

✽ التعبير شرح التحرير في أصول الفقه، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

✽ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

✽ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

✽ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة

نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

✽ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

✽ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

✽ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ التوحيد ومعرفة أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته على الاتفاق والتفرد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنَدَه العبدى (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهى الأستاذ المشارك في قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،

دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

❖ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

❖ تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

❖ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

❖ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

❖ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءاً (في ١٠ مجلدات).

❖ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

❖ جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.

❖ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

❖ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

❖ الحاوي للفتاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،

الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣ - دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.

✽ الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

✽ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، تحقیق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبیة، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

✽ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، تحقیق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبیة، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

✽ دَرْجُ الدَّرَرِ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاخرة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إِيَاد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترتيب مسلسل واحد).

✽ الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى

عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١.

❁ ذم الكلام وأهله، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٥.

❁ الرسالة الماتريديّة، رسالة ماجستير للشيخ شمس الدين الأفغاني بالجامعة الإسلامية.

❁ رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمر (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ١.

❁ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

❁ الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد ابن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٢.

❁ سبل الهدى والرشد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحى الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١٢.

❁ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦.

❁ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي ابن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٤.

❁ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

❁ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

❁ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.

- ❖ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- ❖ سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ابن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبداللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٥.
- ❖ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ❖ السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ❖ السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ❖ سنن سعيد بن منصور، اسم المؤلف: سعيد بن منصور الخراساني، دار النشر: الدار السلفية - الهند - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ❖ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.

- ❖ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط
ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ❖ شرح السنة، اسم المؤلف: الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد،
دار النشر: دار ابن القيم - الدمام - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د.
محمد سعيد سالم القحطاني.
- ❖ شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن
محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦ هـ)، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق،
بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١٥.
- ❖ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق
السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣ هـ)،
المحقق: د. عبد الحميد هندراوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز
(مكة المكرمة - الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢) ومجلد للفهارس
(في ترقيم مسلسل واحد)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ❖ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ
بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحى الدمشقي (المتوفى:
٧٩٢ هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية،
والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، عدد
الأجزاء: ١.

- ❖ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- ❖ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ❖ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- ❖ الصفدية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ❖ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، المؤلف: أحمد ابن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.
- ❖ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني

(المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥.

❖ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ × ١٢.

❖ عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عَزَّوَجَلَّ ومعاشرته مع العباد، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّينَوْرِيُّ، المعروف بابن السُّنِّي (المتوفى: ٣٦٤هـ)، المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، عدد الأجزاء: ١.

❖ العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

❖ الغنية عن الكلام وأهله، المؤلف: الخطابي، عدد الأجزاء: ١.

❖ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

❖ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (المتوفى: ١٣٨٩هـ)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١٣.

❖ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.

❖ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م. مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

❖ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.

❖ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،

حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي (المتوفى: ٦٨٤ هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٤.

❁ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

❁ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

❁ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ.

❖ كرامات الأولياء للالكائي - من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد ابن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١ (هو الجزء التاسع من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة).

❖ كشف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٦.

❖ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف ابن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢٥.

❖ اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، المؤلف: شمس الدين البرماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: ٨٣١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزءاً ومجلد للفهارس).

❖ لسان العرب، لابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

❖ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨ هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

❖ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

❖ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.

❖ المحرر في الحديث، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤ هـ)، المحقق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، الناشر: دار المعرفة - لبنان / بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى [ت: ٤٥٨ هـ]، المحقق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: دار

الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

✻ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥ هـ.

✻ المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٥.

✻ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

✻ المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ.

✻ المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد ابن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.

✻ مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

❖ مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المشنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.

❖ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

❖ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

❖ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

❖ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.

❖ مسند الشهاب، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

❖ مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأقواله على أبواب العلم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: عبد المعطي قلعجي، دار النشر: دار الوفاء - المنصورة، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢.

❖ مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❖ المسودة في أصول الفقه، المؤلف: آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت: ٦٥٢هـ)، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ)، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)]، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتاب العربي، عدد الأجزاء: ١.

❖ مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ٤.

❖ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة

العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

✽ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

✽ المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١ هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ، عدد الأجزاء: ١١.

✽ المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩ هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادى للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

✽ معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١ هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي،

الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.

✻ المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥ هـ.

✻ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

✻ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٦.

✻ المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠ هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

✻ المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

✻ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن

أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه:
هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة:
الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.

✽ الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد
الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر:
مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

✽ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد
عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية،
بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

✽ منتهى الإرادات [في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات] مع حاشية
المنتهى، المؤلف: عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي الشهير بابن قائد
(ت: ١٠٩٧هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر:
مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

✽ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين
أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم
ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق:
محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.

❖ منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

❖ المورد في عمل المولد (مطبوع ضمن: رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي)، المؤلف: عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري، تاج الدين الفاكهاني (المتوفى: ٧٣٤هـ)، المحقق: علي بن حسن بن عبد الحميد، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.

❖ موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

❖ موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

❖ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

❖ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقاً بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي - عماد السيد، الناشر:

دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

❁ هذه مفاهيمنا، للشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

❁ الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤ هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٢٩.

❁ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١ هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

٥.....	مقدمة الناشر.....
٧.....	مقدمة المؤلف.....
٩.....	الباب الأول: مدخل لدراسة العقيدة.....
	الفصل الأول: معنى العقيدة وبيان أهميتها باعتبارها أساساً يقوم عليه
١١.....	بناء الدين.....
١٣.....	الفصل الثاني: في بيان مصادر العقيدة ومنهج السلف في تلقيها.....
١٥.....	الفصل الثالث: في بيان الانحراف عن العقيدة وسبل التوقي منه.....
٢١.....	الباب الثاني: معنى التوحيد وأنواعه.....
٢١.....	١ - توحيد الربوبية.....
٢٣.....	الفصل الأول: معنى توحيد الربوبية وإقرار المشركين به.....
	الفصل الثاني: مفهوم كلمة الرب في القرآن والسنة وتصورات الأمم
٢٧.....	الضالة.....
٣٣.....	الفصل الثالث: الكون وفطرته في الخضوع والطاعة لله.....
٣٦.....	الفصل الرابع: في بيان منهج القرآن في إثبات وجود الخالق ووحدانيته.....
٤٠.....	الفصل الخامس: بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية.....

- ٢- توحيد الألوهية..... ٤٣
- الفصل الأول: في بيان معنى توحيد الألوهية وأنه موضوع دعوة الرسل... ٤٥
- الفصل الثاني: في بيان معنى الشهادتين وما وقع فيهما من الخطأ..... ٤٨
- أولاً: معنى الشهادتين..... ٤٨
- ثانياً: أركان الشهادتين..... ٤٩
- ثالثاً: شروط الشهادتين..... ٥١
- رابعاً: مقتضى الشهادتين..... ٥٤
- خامساً: نواقض الشهادتين..... ٥٤
- الفصل الثالث: في التشريع..... ٥٧
- الفصل الرابع: العبادة معناها وشمولها..... ٥٩
- معنى العبادة..... ٥٩
- الفصل الخامس: في بيان مفاهيم خاطئة في تحديد العبادة..... ٦٢
- الفصل السادس: في بيان ركائز العبودية الصحيحة..... ٦٥
- ٣- توحيد الأسماء والصفات..... ٦٧
- الفصل الأول: الأدلة من الكتاب والسنة والعقل على ثبوت الأسماء والصفات..... ٦٩
- الفصل الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته..... ٧٣
- الفصل الثالث: الرد على من أنكر الأسماء والصفات أو أنكر بعضها... ٧٤

٧٨.....	الباب الثالث: في بيان الشرك والانحراف في حياة البشرية.
٨١.....	الفصل الأول: الانحراف في حياة البشرية.
٨٤.....	الفصل الثاني: الشرك تعريفه وأنواعه.
٨٤.....	تعريف الشرك.
٨٦.....	أنواع الشرك.
٩١.....	الفصل الثالث: الكفر تعريفه وأنواعه.
٩٥.....	الفصل الرابع: النفاق تعريفه وأنواعه.
	الفصل الخامس: بيان حقيقة كل من الجاهلية، الفسق، الضلال، الردة،
١٠٠.....	أقسامها وأحكامها.
١٠٧.....	الباب الرابع: أقوال وأفعال تنافي التوحيد أو تنقصه.
١٠٩.....	الفصل الأول ادعاء علم الغيب في قراءة الكف والفتجان وغيرهما.
١١١.....	الفصل الثاني: السحر والكهانة والعرافة.
	الفصل الثالث: تقديم القرابين والندور والهدايا للمزارات والقبور
١١٦.....	وتعظيمها.
١٢١.....	الفصل الرابع: في بيان حكم تعظيم التماثيل والنصب التذكارية.
١٢٤.....	الفصل الخامس: في بيان حكم الاستهزاء بالدين والاستهانة بحرماته.
١٢٨.....	الفصل السادس: الحكم بغير ما أنزل الله.
١٣٤.....	الفصل السابع: ادعاء حق التشريع والتحليل والتحريم.

الفصل الثامن: حكم الانتماء إلى المذاهب الإلحادية والأحزاب

الجاهلية..... ١٣٧

الفصل التاسع: النظرية المادية للحياة ومفاسد هذه النظرية..... ١٤١

الفصل العاشر: في الرقى والتائم..... ١٤٥

الفصل الحادي عشر: في بيان حكم الحلف بغير الله والتوسل

والاستغاثة والاستعانة بالمخلوق..... ١٤٩

الحلف بغير الله..... ١٤٩

التوسل بالمخلوق إلى الله تعالى..... ١٥١

حكم الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق..... ١٥٧

الباب الخامس: في بيان ما يجب اعتقاده في الرسول وأهل بيته

وصحابته..... ١٥٩

الفصل الأول: في وجوب محبة الرسول وتعظيمه والنهي عن الغلو

والإطراء في مدحه..... ١٦١

الفصل الثاني: في وجوب طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء به..... ١٦٩

الفصل الثالث: في مشروعية الصلاة والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.... ١٧٢

الفصل الرابع: في فضل أهل البيت وما يجب لهم من غير جفاء ولا غلو.... ١٧٤

الفصل الخامس: في فضل الصحابة وما يجب اعتقاده فيهم..... ١٧٨

الفصل السادس: في النهي عن سب الصحابة وأئمة الهدى..... ١٨٦

١٩١.....	الباب السادس: البدع
١٩٣.....	الفصل الأول: تعريف البدعة أنواعها وأحكامها
١٩٣.....	تعريف البدعة
١٩٤.....	أنواع البدع
١٩٨.....	الفصل الثاني: ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها
	الفصل الثالث: موقف الأمة الإسلامية من المبتدعة ومنهج
٢٠٤.....	أهل السنة والجماعة في الرد عليهم
٢٠٤.....	موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة
٢٠٦.....	منهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل البدع
٢٠٨.....	الفصل الرابع: في بيان نماذج من البدع المعاصرة
٢٠٨.....	الاحتفال بمناسبة المولد النبوي
٢١١.....	التبرك بالأمكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً
٢١٢.....	البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله
٢١٥.....	قائمة المراجع
٢٤٣.....	فهرس الموضوعات